الفصل الثاني

الاغتصاب الجنسي

التساؤل التاسع عشر
ماذا يقصد بالاغتصاب الجنسي؟

إن الاغتصاب الجنسي نوع من أنواع العنف ضد المرأة، وقد بدأت في السنوات الأخيرة تظهر بعض الحالات من عمليات الاغتصاب الجنسي في المجتمع الإنساني، مما أدى إلى ترويع أمن أفراد المجتمع، وخاصة أن الاغتصاب الجنسي يتنافى مع تعاليم الأديان السماوية، وتقاليد بعض المجتمعات الإنسانية وأعرافها.

ويقصد بالاغتصاب في اللغة: غصب الشيء أي أخذه قهراً وظلماً، أما من الناحية القانونية فيقصد به: مواقعة رجل لأنثى ضد رغبتها ودون رضاها، وقد نصت المادة (٢٦٧) من قانون العقوبات المصري على أن كل من واقع الأنثى بغير رضاها يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة، ويعتبر الإيلاج هو الركن المادي في الاغتصاب سواء أكان كاملاً أم جزئياً، أما غير ذلك من أي احتكاك خارجي فيعد من قبل هتك العرض.

ويحدث الاغتصاب الجنسي عادة من الأقوى نحو الأضعف، ففي الحروب يتم الاغتصاب لإذلال المهزوم، ويحدث الاغتصاب بطريقة متواصلة لإنجاب أطفال يزيدون من عدد هوية المنتصر؛ مثلما حدث في البوسنة والهرسك، حيث كانوا يغتصبون ٥٠,٠٠٠ امرأة يومياً حتى يحصلوا على أطفال يزيدون من هوية المعتدي. والذي يقوم بالاغتصاب إنسان مريض نفسياً، وأحياناً وهذا هو الغريب أن يكون المغتصب عاجزاً جنسياً.

وتشير تقارير الأمن العام إلى أن جنايات هتك العرض والاغتصاب المبلغة من المحافظات عام ١٩٩١م (١٦٤ جناية)، بينما تشير التقارير إلى أن جنايات هتك العرض والاغتصاب المبلغة من المحافظات عام ١٩٩٤م (٢٠٣

جناية)، أي أنه في خلال أربع سنوات حدثت زيادة في جنايات الاغتصاب وهتك العرض بنسبة ٢٣,٨%، وذلك بخلاف حالات الاغتصاب وهتك العرض التي لم يبلغ عنها لخشية بعض الأسر من أن يؤدي الإبلاغ إلى التشهير بالأسرة، أو عدم قدرة المجني عليها وأسرتها على الإبلاغ خوفاً من بطش المعتدي أو سلطانه، كما في حالة الخادمات في المنازل.

التساؤل العشرون
ما متلازمة حادث الاغتصاب الجنسي؟

يعد اغتصاب الإناث أكثر أنواع العنف الموجه ضد المرأة وحشية وأشدها تدميراً للروح والنفس والبدن وله آثار حادة وأخرى مزمنة على الضحية وعلى أسرتها قد تمتد إلى نهاية العمر. وهذه الحالة يطلق عليها "متلازمة حادث الاغتصاب" والضحية المغتصبة تمر بمرحلتين، هما ما يلي:

١- المرحلة الحادة:

تستمر المرحلة الحادة لعدة ساعات حتى عدة أيام بعد الحادث، وفي هذه المرحلة يعتري الضحية اضطراب في التصرفات والسلوك المعتاد، وتهيج وانفعال كما تشعر بالغضب، ولوم النفس، والشعور بالذل، والتحقير والمهانة وقد تستطيع الضحية أن تكتم أحاسيسها وانفعالاتها وتختزن معاناتها النفسية في اللاشعور كخبرة شديدة الإيلام تتسبب في الكثير من الأمراض والعقد النفسية.

وفي هذه المرحلة تشكو الضحية من أعراض جسمانية مثل الصداع والإرهاق والأرق واضطرابات النوم واضطرابات الجهاز الهضمي مثل القيء والمغص والإسهال أو الإمساك واضطرابات الجهاز البولي مثل كثرة التبول أو التبول اللاإرادي، كما إنها قد تشعر بأعراض الأمراض الجنسية التي تكون قد انتقلت إليها من الجاني.

٢- المرحلة المزمنة:

تبدأ هذه المرحلة بعد حادث الاغتصاب بحوالي أسبوعين أو ثلاثة، وفيها تبدأ المغتصبة في العودة التدريجية إلى طبيعتها، وإن كانت ينتابها الأحلام المرعبة والكوابيس والمخاوف الجنسية ومع المساعدة النفسية والطبية والتأهيلية قد تتعافى الضحية تماما من هذه الخبرة المؤلمة بينما قد لا يستعيد

البعض منهن أبداً صحتهن النفسية، وإنما يعانين طوال حياتهن من الاضطرابات النفسية المزمنة وفقد الإحساس بالأمان والبرود الجنسي – وهذا ما نسميه الرضة النفسية التي تتطلب علاجاً نفسياً طويلاً ومركزاً. ولا تقتصر مضاعفات الاغتصاب على صحة الضحية على ما سبق ذكره، فالمغتصب إذا كان معابا بأمراض جنسية فإنه ينقلها إلى الضحية وأهمها وأخطرها الإيدز والسيلان والزهري والكلاميديا والعدوى البكتيرية والميكروبية المختلفة التي تسبب التهابات الجهاز التناسلي مما يؤدي لانسداد قنوات فالوب وما يتبعه من عقم ومعاناة.

٣- الحمل والإجهاض، والنهاية الحزينة للضحية:

رغم أن احتمالات الحمل في الاغتصاب ليست كبيرة فهي تتراوح بين ٢-٤% إلا أن الضحية تواجه موقفا صعبا يعرضها لمخاطر الإجهاض غير الآمن، حيث أنه يتم سرا وفي أماكن غير صحية وعلى أيدي غير المؤهلين، مما يعرض الضحية لخطر النزيف والتلوث والعدوى التي قد تنتهي حياة الضحية المسكينة ولا تستطيع الضحية أن تلجأ إلى الإجهاض الطبي الآمن لأن الإجهاض ممنوع دينيا وقانونيا في بعض البلدان حتى في حالة الاغتصاب.

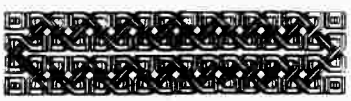

التساؤل الحادي والعشرون
ما معدلات جرائم الاغتصاب والتحرش الجنسي؟

تبين الإحصاءات أن هناك تزايدا في ارتفاع معدلات جرائم الاغتصاب والتحرش الجنسي في بلدان العالم الغربي والعربي، وفيما يلي أمثلة لتلك المعدلات في دولتين هما:

١- في إسرائيل:

أفاد تقرير نشره اتحاد مراكز الدعم الاجتماعي والنفسي، لمن تعرضوا للاعتداء الجنسي في إسرائيل، بأن العام ٢٠٠٦م شهد ارتفاعا بنسبة ٢٠% في معدل جرائم الاغتصاب والتحرش الجنسي في إسرائيل، وأن ٢٥% من هذه الجرائم تتعلق بسفاح القربى. وأوضحت صحيفة "معاريف" الصادرة باللغة العربية، أن المعطيات التي نشرت تفيد بأن الاتحاد تلقى من شهر يناير وحتى شهر أكتوبر، أكثر من ٢٨ ألف شكوى حول الاغتصاب والتحرش الجنسي، منها ٦٢٧٠ جديدة، مقابل ٥٢٣٠ شكوى، جرت أحداثها في نفس الفترة الزمنية من العام ٢٠٠٥م.

وتشير المعطيات، إلى أن الجرائم الجنسية لا تستهدف جمهور النساء فقط، حيث بلغت نسبة المشتكين من الذكور ١٥%، في حين كانت تختلف طبيعة الجرائم الجنسية، حيث بلغت نسبة الاغتصاب، أو محاولة الاغتصاب، ٤٢%، واشتكى ٢٤,٥% من "التعرية" بالعنف، و١٥% تحرش جنسي، و١٣% اشتكوا من أفعال مشينة، و٥% اشتكوا من اغتصاب جماعي.

وأظهرت المعطيات أيضاً، أن من إجمالي المشتكين، هناك ١١% فقط لم يكونوا على معرفة بالجاني، بينما أكدت الغالبية الحاسمة من المتوجهين لمراكز الدعم الاجتماعي والنفسي، أنهم كانوا يعرفون الجاني، في حين بينت

المعطيات أن ٥١% ممن تعرضوا للاعتداء الجنسي، كانوا تحت سن ١٨ سنة.

وقد تبين، أن الذين يشتكون من اعتداءات جنسية ضدهم، هم أشخاص يتحلون بالجرأة والشجاعة، وأن هناك نسبة كبيرة ممن تعرضوا للاعتداء الجنسي من الجنسين، لم يتمكنوا للعديد من الأسباب من تقديم شكوى ضد الجناة، مما يجعل النسب المذكورة في تلك التقارير أقل بكثير من الواقع.

٢- في مصر:

كشفت وكالة الأنباء الفرنسية اتساع ظاهرة التحرش الجنسي في شوارع مصر وتزايد حالات الاغتصاب. وترى الوكالة أن التحرش أصبح آفة اجتماعية يمكن أن تعرقل عملية التنمية، وأرجعت أسبابه إلى البطالة وتأخر سن الزواج وارتفاع تكاليفه.

وأشارت الوكالة إلى تقرير للمركز القومي للبحوث الجنائية والاجتماعية يؤكد تزايد الجرائم ذات الطابع الجنسي، كما صدرت إحصائية عن المركز تؤكد وقوع جريمة اغتصاب كل ٣٠ دقيقة. كما كشف التقرير أن ٩٠% من مرتكبي هذه الجرائم من العاطلين عن العمل. وأضافت إن الرجال يفرغون كل كبتهم الجنسي وكل احباطاتهم أيا كانت مسبباتها في النساء. وأكدت أن هناك نساء وفتيات يتوقفن عن الذهاب إلى العمل أو الجامعة بسبب التحرش، متسائلة: كيف يمكن تحقيق تنمية إذا لم تحدث تعبئة شاملة في المجتمع؟. وإلى جانب هذا، إذا أرادت وزارة السياحة الاحتفاظ بالسائحين فينبغي على الأجهزة الأمنية أن تكون أكثر صرامة مع الأشخاص الذين يتحرشون بالنساء في الشوارع. وطبقا لدراسة للمركز المصري لحقوق المرأة فإن ١٢% فقط من النساء اللاتي يتعرضن للتحرش يقدمن بلاغات للشرطة وهو دليل على فقدان الثقة التام في أجهزة الأمن وفي النظام القضائي.

التساؤل الثاني والعشرون
ما أسباب الاغتصاب الجنسي؟

توجد أسباب وآثار متعددة وراء ظاهرة الاغتصاب الجنسي؛ منها ما يلي:

أ- الاختلاط المطلق:

بعض محاولات الإصلاح الاجتماعي، قد شابتها أفكار أبعدت المجتمع إلى حد ما عن القيم والعادات والتقاليد والعقيدة وانحرفت بموضوع الإصلاح عن مساره، وكانت الدعوة إلى تحرير المرأة أحد محاولات الإصلاح الاجتماعي التي نفذت منها هذه الأفكار، فانحرفت محاولات الإصلاح الاجتماعي للمرأة عن مسارها، وخاصة في ظل الصراع بين النزعة التراثية المتفاخرة غير الواعية، والنزعة التغريبية غير الواعية، ومن خلال هذا الصراع بين التطرف التراثي والتطرف التغريبي تمكنت قوى أخرى من النفاذ وبث المفاسد الخلقية؛ "فمن أساليب الصهيونية العالمية استغلال الحركات الاجتماعية والاتجاه بها إلى الوجهة التي يريدونها، وأحب هذه الحركات إليها ما كان كفيلا بهدم القيم والأخلاق وتفكيك أوصال المجتمع وتلويث العرف الشائع بين أهله، ومن ثم انحرفت محاولات إصلاح أحوال المرأة إلى دعوة للخروج على الدين ومعايير أخلاق المجتمع وتقاليده، وأعرافه. وإلى جانب هذا، هناك دعوة غربية ليس الهدف منها نيل المرأة حقوقها، إنما دعوة للاختلاط المطلق، وأن موقف الإسلام من الاختلاط ليس حجبا للمرأة عن المجتمع، إنما صون للمرأة ووقايتها من شر الزلل. إن الاختلاط يألفه الرجل، وعلى قدر الاختلاط تكون كثرة عدد أولاد الزنا، أي أن الاختلاط يؤدي إلى المفاسد الخلقية، وتساعد التربية السليمة الفرد على تجنب هذه المفاسد، فهذا الاختلاط المطلق الذي يسمح فيه بلقاء النساء بالرجال بلا قيود وضوابط كان سببا من أسباب الاغتصاب الجنسي، وكثير من القضايا التي نشرت في وسائل الإعلام عن الاغتصاب كان الاختلاط سببا فيها.

ب- الرغبة الجنسية:

بفعل كثير من المؤثرات والأفكار أصبحت الرغبة الجنسية خطرا يهدد البشرية، لأن الشهوة إذا غلبت، ولم تقاومها قوة التقوى جرت صاحبها إلى اقتحام الفواحش، وبتأثير الإعلام وقصور التربية وانتشار الأفكار المروجة للجنس حتى غدا الجنس الشغل الشاغل لمعظم أفراد المجموعة البشرية، بل أضحت ممارسته والإغراق فيه غاية الحياة وقمة الأمنيات لدى كثير من الناس، وأصبحت الحياة مؤسسة جنسية بفعل أفكار "فرويد" الذي يرى أن الإنسان لا يحقق ذاته بغير الإشباع الجنسي، وكل قيد من دين أو خلق أو مجتمع أو تقاليد هو قيد باطل ومدمر لطاقة الإنسان، وهو كبت غير مشروع، هذه الأفكار لم تنطلق من فراغ إنما من مخططات الصهيونية العالمية المراد من ورائها التحكم في العالم، عن طريق نشر المفاسد الخلقية، والتي تعتبر الغريزة الجنسية أكثر دروب المفاسد الخلقية وأيسرها، ولذلك جاء في بروتوكولات حكماء صهيون "يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا؛ إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس، لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر إرواء غريزته الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه"، وقد نجحت هذه الخطة إلى حد كبير، جعل العالم كله يشعر بأزمة وخطورة هذه الرغبة الجنسية الجامحة التي تدمر المجتمعات. إن خطر الطاقة الجنسية قد يكون في نهاية الأمر أكبر من خطر الطاقة الذرية، وقد دفع ذلك إلى سيطرة الرغبة الجنسية على العقل، مما أدى إلى ظهور حالات الاغتصاب الجنسي.

ج- أزياء المرأة:

إن المرأة العربية مسلمة كانت أو مسيحية ترتدي الثياب التي لا تظهر مفاتنها، استجابة لأوامر الله وتقاليد وأعراف المجتمع، بل هي فطرة المرأة التي فطرها الله عليها، وهي الحياء.

ولكن استجابة للتشبه بالحياة الغربية، بدأت المرأة العربية، ترتدي الأزياء التي تكشف عن الكثير من مفاتنها، ولاقت هذه الاتجاهات نحو الأزياء الغربية تشجيعا ممن يريدون للنموذج الغربي أن يسود المجتمع المصري، "ويقول جمال سلطان أن طه حسين كتب عن الممثلة المسرحية سارة برنار أنها لم تكن تخيل للناس على المسرح أنها تقبل أو تعانق، بل كانت تقبل وتعانق بالفعل، وتأتي من الفعال ما هو أبلغ في الدهشة من ذلك، فمتى تولد في مصر نابغة كسارة برنار؟ أو على الأقل: متى يبلغ أهل مصر من الرقي العلمي والثقافي ما يجعلهم يقدرون فنانة مثل سارة برنار"، وعلى هذا المنهج سار غيره من رواد العمل الثقافي والاجتماعي في مصر، وارتداء المرأة لهذه الملابس المثيرة، يزيد من الرغبة الجنسية عند الرجال، ويساعد في انتشار الاغتصاب الجنسي، ولذلك حرم الإسلام العرى والإثارة والنظر إلى المحرمات ليحول بين المسلم والسقوط في هاوية الشهوات، ولكي يصده عن أن تمتلكه شهوته.

د- دراما العنف والإثارة:

إن ما يقدم من أعمال درامية في السينما أو التليفزيون أو شرائط الفيديو، تكثر بها مشاهد العري والجنس والعنف، وبدراسة تأثير عرض الأفلام العنيفة في التليفزيون ثبت أنها توقظ لدى الشباب النزعة إلى العنف، خاصة وأن بعض الأفلام تثير فيهم العدوانية أو جنسية ناشئة كل ذلك يساعد على التشبع والتفحص، وبعضها يلفها جو من الإثارة الجنسية العاتية، وبرؤية الحدث المتجدد دوما لهذه الأفلام يندمج في طريق الجريمة والاغتصاب الجنسي، وتحت سيطرة تأثير هذه الأفلام ورغبة من الشباب في التقليد، تحدث كثير من جرائم الاغتصاب الجنسي، وللتأثير الكبير لما يعرض على الشباب من أفلام، فإن اللجنة القومية للوقاية من العنف والإجرام في فرنسا، أوصت

بإنشاء لجان برمجة تشرف على موضوعات الإرسال التليفزيوني فلا تسمح بعرض الأفلام الموحية بالعنف.

هـ- انتشار المخدرات:

كما أن للمخدرات من تأثير على وعي الأفراد وسلوكياتهم، فإنها تؤدي إلى أن تنهار القيم وتتبلد العواطف وينعدم الإحساس بالمسئولية الاجتماعية والعائلية وتضعف إرادة المتعاطي ويتحول إلى شخص عصابي المزاج، غير قادر على التجاوب مع الآخرين، أو تحقيق الانسجام الاجتماعي، وتؤدي به في نهاية المطاف إلى ارتكاب الجريمة في حق نفسه، وفي حق المجتمع، ومن بين الجرائم التي تدفع المخدرات بمتعاطيها إلى ارتكاب جريمة الاغتصاب الجنسي.

و- النمو الحضري وافتقاد الأمن:

يشعر الفرد بافتقاد الأمن نتيجة لاتساع العمران وامتداده، هذا الامتداد الذي يحمل العديد من الظواهر ومن بينها ظاهرة التباين، فالحاجة إلى الأمن والرعاية والسلطة الضابطة من أهم حاجات الإنسان، وبدونها يشعر الفرد بالحرمان والاغتراب ولقد حدد "ماسلو" الحاجات التي يجب إشباعها في شكل هرمي قاعدته الحاجات الفسيولوجية تعلوها الحاجة إلى الأمن والطمأنينة. ومع افتقاد السلطة الضابطة والإحساس بالأمن وشعور الفرد بالاغتراب والحرمان، خاصة في المناطق الجديدة التي يشعر فيها الإنسان بأنه أعزل في كل طريق يسلكه من طرق المدينة، فلا يشعر فيه بأي وجود للبوليس ويكون شاقا عليه أن يظفر فيه بنجدة ما من جمهور الناس، فكثير من حالات الاغتصاب الجنسي تحدث في هذه المناطق، والتي تعاني أيضاً من نقص في إنارة الشوارع والخدمات، مما يجعلها مرتعا للخارجين على القانون والراغبين في المتعة الحرام.

هذه الأسباب وغيرها هي التي هيأت المناخ لجريمة الاغتصاب الجنسي، ومن بينها التفكك الأسري وغياب رقابة الأسرة على الأبناء والبطالة والفراغ الذي يعاني منه كثير من الشباب، وانهيار القيم الخلقية، واهتزاز منظومة المجتمع، وغير ذلك، نتيجة مباشرة للمتغيرات التي طرأت على المجتمع المصري في السنوات الأخيرة، وتأثرت بها حياة المجتمع في شتى مناحيها.

المتغيرات العصرية وعلاقتها بالاغتصاب الجنسي:

يصاحب أي متغيرات جديدة، في أي مجال من مجالات الحياة تغيرات اجتماعية وظواهر مستحدثة إيجابية وسلبية، وبخاصة في فترات التحول الحضاري الكبير فعلى سبيل المثال لم تظهر ظاهرة الهجرة من الريف إلى المدينة، والصراع بين طبقة العمال وأصحاب الأعمال، إلا كنتيجة للمتغيرات التي صاحبت القفزة الحضارية المتمثلة في الثورة الصناعية.

والعصر الحالي بما يحمله من موجة حضارية جديدة، وما يملكه من وسائل الإعلام والاتصال الحديثة التي ساهمت مساهمة فعالة في نقل المتغيرات وتبعاتها إلى كافة أرجاء الأرض، وفي ظل العولمة والقوة الواحدة والنظام الأوحد المتمثلان في الولايات المتحدة الأمريكية والنظام الرأسمالي بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وانكماش المد الاشتراكي، لابد وأن تحدث متغيرات، بل وأن تفرض هذه المتغيرات على المجتمعات كافة.

والمجتمع العربي والإسلامي كجزء من هذا العالم، قد ناله ما نال غيره من المجتمعات من التغيرات الاقتصادية، والتكنولوجية، والثقافية، مما أثر على البنية الاجتماعية، وأحدث تغييرات اجتماعية، وحيث إن الاغتصاب الجنسي بصورته الحالية جريمة حديثة على المجتمع العربي والإسلامي، ينبغي البحث عن علاقة ظهورها بالمتغيرات التي طرأت على المجتمع العربي والإسلامي وفيما يلي توضيح ذلك.

أ- المتغيرات الاقتصادية وعلاقتها بالاغتصاب الجنسي:

البطالة:

إن أي مجتمع يقوم على الاقتصاد الحر تكون البطالة أحد مقومات هذا المجتمع، لإتاحة الفرصة لأصحاب الأعمال بالمساومة بهؤلاء العاطلين ضد مطالب العمال، وتقدر العمالة الفائضة في المجتمعات المقبلة على هذا البرنامج بما يزيد على نصف القوى العاملة بالمنشآت العامة.

وما ينشأ عن الخصخصة من بطالة سوف يكون له أثره النفسي والاجتماعي على الفرد العاطل، وتتمثل في معاناة العاطل من الألم بسبب فقدانه الدخل الشخصي بسبب حالة البطالة، مما يؤثر على إحساسه بالأمان والاستقرار، وقد يفقد احترامه لنفسه لاعتقاده بأنه أصبح عالة على المجتمع، وهذا كله قد يخلق حالة من الاضطراب والقلق النفسي، وقد يدفع هذا الاضطراب والقلق النفسي إلى ارتكاب جريمة الاغتصاب الجنسي، قد يرتكبها كاحتجاج على المجتمع الذي كان سببا في تعطله عن العمل، والذي يفرق بين أفراده في شكل طبقات، تملك كل شيء، وطبقة لا تملك شيئا، وفي الغالب تكون الضحية من الطبقة التي تملك تعبيرا عن الانتقام من هذه الطبقة، أو تقع الجريمة بسبب وقت الفراغ، فإن تلك الجرائم تحدث في أوقات غير أوقات الدراسة والعمل، حيث يبدو واضحا أنه إذا ما أسيء استغلال وقت الفراغ فإن ذلك يكون مصدرا لظهور الجرائم، والفرد العاطل لديه وقت فراغ كبير.

انحسار الطبقة الوسط:

نتيجة للمتغيرات الاقتصادية، سوف تهدد الطبقة الوسطى بالتآكل، وأن من أكثر النتائج السلبية هو القضاء على الطبقة الوسطى ودحرجتها نحو حافة الفاقة، وهي الطبقة النشطة سياسيا واجتماعيا وثقافيا والنواة الصلبة للمجتمعات المدنية، كما أنها الطبقة الكابحة لجميع تيارات التطرف والغلو،

وهي التي قادت في المجتمعات النامية حركات التحرر الوطني وحملت مشعل الحداثة والتقدم، وهذه الطبقة المتجهة نحو الثقافة والمتمسكة بالقيم والتقاليد والأعراف والمبادئ الخلقية، في إطار التقدم والتحديث، لا الجمود والتطرف، والتي كانت تمثل القاعدة العريضة من المجتمع المصري، ونتيجة لانحسارها سوف تهتز قيم المجتمع وسلوكياته، وتنحصر بين قيم وسلوكيات الطبقة العليا التي أفسدها الترف وسيطرت عليها المادية، والطبقة السفلى، التي أفسدها الفقر والعوز مما يدفع إلى التخلي عن كثير من القيم والسلوكيات الإيجابية في سبيل البقاء، وبين هاتين الطبقتين سوف تباح المحظورات الاجتماعية، وبالتالي تقع جريمة الاغتصاب الجنسي.

غياب البعد الاجتماعي الإنساني:

لا يدخل الإنسان وظروفه الاجتماعية في الحسبان عند اتخاذ قرار اقتصادي في ظل هذه المتغيرات ولهذا تتراجع الأهداف الاجتماعية في المشروعات العامة كتوفير الخدمات الأساسية للمواطن وبخاصة محدودي الدخل، وفي ظل هذه الظروف الاقتصادية اللاإنسانية، سوف تضطر الأسر تحت وطأة الحاجة إلى دفع الأولاد إلى العمل في سن مبكرة، وهي في معظم الأحيان أعمال هامشية ومقابلها المادي ضئيل ومحاطة بالفساد الأخلاقي، كبيع أوراق اليانصيب، أو مسح السيارات في تقاطع الطرق، أو بيع بعض الأشياء البسيطة عند مداخل أماكن اللهو، أو دفع الفتيات الصغيرات للعمل في الخدمة بالمنازل، وفي ظل هذه الأعمال الوضيعة، ورفقة السوء تبدأ أولى خطوات التعرف على الممارسات الجنسية والجنسية المثلية، مع غياب الرقابة والقيم التربوية يصبح الاغتصاب الجنسي أمراً عاديا.

ومن بين الخدمات الأساسية والضرورية التي لا يمكن تحقيقها في ظل المتغيرات الاقتصادية، حصول المواطن البسيط على المأوى، مما يضطر

كثير من الأسر إلى العيش في حجرة واحدة، ومشاركة أسر أخرى ذات المسكن، أو السكن في المقابر، ويترتب على ذلك تردي خلقي واعتداءات جنسية في سن مبكرة، وفي أفضل الأحوال مشاهدة بعض مظاهر العبث الجنسي أو المشاركة فيها، فتصبح فكرة الاغتصاب الجنسي ليست ببعيدة عن خيال هؤلاء الأفراد، وربما لا يرون غضاضة في ممارستها في أول فرصة تتاح لهم، إضافة إلى ذلك ما سوف يحدث من تقصير في مجالات الخدمات الأخرى، كالتعليم والصحة والثقافة، وما ينتج عنه من انحدار في المستوى العلمي والتربوي، وما يصاحب ذلك من انحطاط قيمي وسلوكي، يمكن أن يؤدي إلى الانحراف وارتكاب الجرائم ومن بينها جريمة الاغتصاب الجنسي.

ب- المتغيرات التكنولوجية وعلاقتها بالاغتصاب الجنسي:

المجال الاجتماعي:

سوف تسهم المتغيرات التكنولوجية في إحداث تغيرات اجتماعية سريعة بما لها من قدرة على أن تحطم أدوارا اجتماعية مستقرة وتنشئ أخرى مستحدثة، وتحيل إلى ذاكرة التاريخ أنماطا من السلوك الاجتماعي طال عليها الزمن وتستبدلها بأنماط مبتكرة غير مألوفة وغير متوقعة. وتعيد صياغة العلاقات الاجتماعية، ولا يتوقف تأثيرها ضد هذا الحد، بل يمتد لينفذ ما استقر في الأذهان والوجدان، ليعيد طرح المسلمات ويغير من أساليب تفكيرنا، وما تأتي به التكنولوجيا من أنماط السلوك الجديدة غير المألوفة مثل الانترنت؛ فإن الانترنت قد ينقل قيم وأساليب المجتمع الاستهلاكي الغربي، وقد يكون أداة للهيمنة الثقافية الغربية وانتشار أساليب المجتمع الاستهلاكي الغربي وضعف قدرتنا الاقتصادية سوف يؤدي إلى صراع، وبالتالي يحاول كل فرد إشباع رغباته الاستهلاكية بطرق مشروعة وغير مشروعة ويتولد عن هذا الترف الاستهلاكي عدم المقدرة على التحكم في الرغبات ومن بينها الرغبة الجنسية، فيسعى لإشباعها ولو بالاغتصاب الجنسي.

المجال الثقافي:

مع تكنولوجيا الإعلام والاقتصاد، أصبح التأثير الثقافي الوافد أكثر تأثيراً من الثقافة المحلية في حياة الأفراد، وهو يحمل صفات وسمات وعقائد وتقاليد المجتمع المصنع، التي ربما تختلف مع التوجهات العقائدية والقيمة للمجتمع، فتصبح معوقة للتطور الثقافي، ومن مظاهر الهيمنة الإعلامية المعاكسة للتطور الاجتماعي والثقافي تلك الممارسات المخلة بالأخلاق والقيم الصادرة عن مؤسسات الدعاية والإعلام: ذلك أن الأشرطة الدعائية والبرامج التليفزيونية أضحت من جملة أدوات الهيمنة الثقافية والتشويه الحضاري من جراء ما تنقله للبلدان النامية من نماذج ثقافية، مخالفة لقيمها ومناهضة لأهدافها الإنمائية وما تحمله هذه النماذج من مشاهد العنف والجنس سوف يدفع بأفراد المجتمع إلى الاغتصاب الجنسي.

المجال الاقتصادي:

على الرغم مما حققته التكنولوجيا من وفرة في الإنتاج، إلا أن هذه التكنولوجيا في مفهوم الدول الفقيرة تعتبر مصيبة كبرى حيث فائض العمال كبير جداً مع نقص رأس المال فهي توفر العمل للقلة المحظوظة، وينشأ عن ذلك ظلم كبير، وتزيد الهجرة من الريف وتجتذب نصيب الأسد من الاستثمار الحكومي على حساب الزراعة كما يستتبع ذلك ضغطا شديدا على العملة الصعبة فيزداد الاعتماد على الغرب، وبهذا فإن التكنولوجيا أدت إلى خلق العديد من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي لم يكن لها وجود قبل التطور التكنولوجي، وزادت حدة البطالة مما يؤثر سلبا على الأفراد.

ج- المتغيرات الثقافية وعلاقتها بالاغتصاب الجنسي:

ربما يكون لبعض الآثار السلبية للعولمة الثقافية ليس سببها المرسل إنما المستقبل، فإذا لم يوجد وعيا حقيقيا تم تأسيسه على ركائز فكرية سليمة يؤدي ذلك إلى اختيار الجانب السلبي البراق من العولمة الثقافية.

العنف والجنس:

لكل مجتمع سماته وتقاليده وأعرافه، وبخاصة فيما يتصل بمسائل العنف أو الجنس، ولكن مع العولمة الثقافية، والبث المباشر فأصبح نشر ما يتصل بالعنف أو الجنس غير خاضع لمعايير المجتمع المرسل، والتي في الغالب ما تتعارض مع معايير المجتمع العربي والإسلامي، فإنه يوجد العنف والجنس بشكل مكثف في المواد الترفيهية التي تستورد من الغرب وخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية؛ وهذه المشاهد من العنف والجنس، لابد وأن تثير النزعات الدفينة للجنس والعنف داخل نفوس المشاهدين، وتتحول إلى رغبات تحتاج إلى إشباع بأي وسيلة فتدفع بصاحبها إلى الاغتصاب.

الناحية الروحية:

إن الثقافة الوافدة أيا كان منشأها فهي تعبر عن عقيدة وروحانيات مجتمعها، ومعظم الثقافات الواردة من أوربا وأمريكا، تأتي في شكل موجات فيض ثقافية ذات مذاق متميز، من أقطار مركز الحضارة الغربية وتغمر الكرة الأرضية في شكل صور، وكلمات وقيم أخلاقية وضوابط قانونية ونظم سياسية، وأن هذا الفيض المتدفق من الإعلام لا يمكنه إلا أن يشكل رغبات المستقبلين له وحاجاتهم وأنماط سلوكهم وعقلياتهم، ونظم التعليم عندهم وأساليب حياتهم، وهذه المجتمعات التي تسعى إلى تشكيل سلوك وقيم وأخلاق وأساليب المجتمعات العربية والإسلامية، ولا تولي أي اهتمام للدين والعقيدة، بل تدعو في إطار دعوتها إلى الحداثة الثقافية إلى تحطيم كافة الثوابت الدينية والتراثية، ومع استمرار المد الثقافي الغربي يضعف الوازع الديني ويقل الاهتمام بالروحانيات والعقائد، وينظر إلى كل هذه الأمور بأنها من الغيبيات، ولا تتلاءم هذه الغيبيات مع الثقافة العلمية التي ينشدها الغرب من وجهة نظرهم، وإذا كان الدين من أهم العوامل الرادعة للجريمة، ففي غياب الدين

يستباح كل شيء، وتصبح الممارسة الجنسية غير المشروعة أمراً عادياً، وبذلك يسقط الآخذين بهذه الثقافات في جريمة الاغتصاب الجنسي.

د- المتغيرات الاجتماعية وعلاقتها بالاغتصاب الجنسي:

الأسرة:

تعد الأسرة أول مؤسسة اجتماعية تربوية يتعامل معها الفرد، وتضطلع بالنصيب الأكبر بين المؤسسات الأخرى في تنمية الجوانب الجسمية والخلقية والقيمية والعقائدية والانفعالية للفرد، فهي المحضن الطبيعي الذي تتربى فيه الأجيال على مكارم الأخلاق ولا توجد حتى الآن مؤسسة أخرى يمكن أن تقوم بهذا العمل الضخم بالصورة التي تقوم بها الأسرة، إنما تقوم المؤسسات كلها – حين يحسن توجيهها وتنظيمها – بالمساعدة في هذه المهمة الرئيسة التي تقوم بها الأسرة بطريقة شبه تلقائية لأنها تملك العنصر الأهم، ذا الفاعلية العالية في العملية التربوية وهو الحب الفطري الذي يكنه الوالدان لأبنائهما، ويكنه الأبناء للوالدين.

ولأن الأسرة تمثل المحيط الاجتماعي التربوي الأول في حياة الفرد يرى البعض أن أثر الأسرة ترجح كفته عن أثر عوامل التربية الأخرى في المجتمع، وأن آثارها تتوقف على الأسرة فبإصلاح الأسرة تصلح آثار العوامل والوسائط التربوية الأخرى، ومفاسدها وانحرافها تذهب مجهودات المؤسسات الأخرى هباء.

وعلى الرغم من هذه الأهمية للأسرة كمؤسسة اجتماعية تربوية، فإن الأسرة في ظل المتغيرات التي سادت المجتمع العربي والإسلامي فقد فقدت الكثير من دورها الاجتماعي التربوي، ومن انعكاسات المتغيرات على الأوضاع الاجتماعية للأسرة حدث ذلك الخلل الذي طرأ على أدوار الأبوين

التربوية نتيجة لتعدديه الأدوار الوظيفية التي فرضها الواقع الاقتصادي الاجتماعي للمجتمع، فدور الأم التربوي قد تقلص إلى حد بعيد في ظل خروجها إلى العمل.

وكذلك في ظل تقلص الأسرة الممتدة بالنسبة لرعاية الأبناء وتوجيههم، ونظرا لأن أدوار الأم موزعة ومشتتة بين عملها خارج المنزل وبين سعيها وراء تدبير حاجات الأسرة المعيشية اليومية والتي غالبا ما تقضي الساعات الطويلة بحثا عنها نتيجة خلل السياسات الاقتصادية والتموينية، ولان ما تبقى لديها بعد ذلك من وقت قليل، وفي ظل ما تصل إليه من إنهاك وإرهاق لا يتح للأم عادة الفرصة المثلى لتعديل معايير طفلها أو سلوكياته السلبية، ناهيك عن المتابعة الدقيقة لنقل المعايير والقيم التربوية الإيجابية للطفل والابن البالغ.

أما الأب فأصبح مشغولا بالعمل غالبية ساعات اليوم لتلبية احتياجات الأسرة، التي زادت نتيجة للمتغيرات الثقافية التي نقلت إلى المجتمع العربي والإسلامي أساليب المجتمع الغربي الاستهلاكي، ونتيجة إلى المتغيرات الاقتصادية أيضاً التي تسببت في ارتفاع أسعار السلع والخدمات، وأصبح الأب عولا لا مربيا، وقد ثبت أن غياب الأب يساهم في هبوط دافع التحصيل، وهبوط احترام الذات، وقابلية الانقياد لرأي مجموعة الرفاق وارتكاب جرائم الأحداث، ومن شأن هذه الأوضاع أن تخلق في الجيل الجديد مشاعر اللامبالاة والعدوان والعنف.

وهذا يؤكد أن الأسرة كمؤسسة اجتماعية تربوية أصبحت غير قادرة على القيام بدورها التربوي على الوجه الأكمل، وفي ظل غياب التوجيه الأسري والقدوة يتربى الأبناء على سلوكيات ومعايير وقيم غير إيجابية مما يدفعهم إلى الانحراف، فيصبح وقوعهم في جريمة الاغتصاب الجنسي غير مستبعد.

المؤسسات التعليمية:

وهي على اختلاف مستوياتها أنشأها المجتمع، بعد أن تزايدت الخبرة الإنسانية في شكل تراكم ثقافي، يصعب على الأسرة نقله إلى الأجيال الجديدة، والحفاظ عليه، وقام المجتمع بتزويد هذه المؤسسات التعليمية بالمتخصصين، وهيأ لها الظروف والإمكانيات المناسبة لتحقيق أهدافه، ولم يقتصر الدور الذي حدده المجتمع لهذه المؤسسات على تزويد أفراده بالمعلومات المعرفية، بل امتد إلى تكوين الميول والاتجاهات والقيم، وأصبحت هذه المؤسسات مسئولة أمام المجتمع عن تهيئة بيئة خالية من العيوب الأخلاقية التي تسود المجتمع، ومن المظاهر الشائعة التي تؤثر في أخلاق الأفراد.

ولقد تأثرت المؤسسات التعليمية تأثيراً كبيرا بالمتغيرات التي سادت المجتمع العربي والإسلامي وأدى انحسار القيم الاجتماعية الإيجابية أمام المد الهائل للقيم المادية التي عكستها آليات السوق، إلى جعل حق التعليم الجيد وقفا على مدارس اللغات أو المدارس الخاصة ذات المستوى الرفيع حيث تستطيع هذه المدارس توفير المدرسين ذوي الكفاءات المميزة عن طريق إغرائهم بالأجور والمكافآت المرتفعة التي لا تستطيع المدارس الحكومية توفيرها.

وهذا يعني أن قطاعا كبيرا أصبح محروما من التعليم الجيد، وقطاعا آخر حرم من التعليم تماما، نتيجة لتأثير المتغيرات الاقتصادية على المجتمع، وبتأثير المتغيرات الثقافية خضعت أنظمة التعليم، لنظم التعليم الغربي في حين أنه يجب أن تكون أنظمة التعليم ومنها أنظمة التعليم الجامعي – نتاج ثقافة الأمة وحصيلة تاريخها وتطورها، ووسيلة تلبية حاجاتها، وأداتها إلى التغير والتطور، ومن هنا كان لابد لتلك الأنظمة من أن تختلف باختلاف فلسفات الأمم وأهدافها، وبالاعتماد على نظم التعليم الأجنبي والابتعاد عن قيم وتقاليد وأعراف وعادات المجتمع العربي والإسلامي، يتولد الشعور بالاغتراب

النفسي بين المتعلمين، ويشتد الصراع بين من يمثل التطرف في العصرية، ومن يمثلون التطرف في التقليدية، ويقف القسم الثالث حائر بين هذا وذاك، وكل هذه الظروف تدعوا إلى الشعور بالاغتراب والإحباط وفي ظل المتغيرات الاقتصادية التي أثرت على أداء المعلم وإعداده، وعلى إمكانيات المؤسسات التعليمية، حتى أصبحت غير قادرة على ممارسة دورها التربوي على الوجه الأكمل، مع ما شاب الأسرة من قصور في تأدية دورها التربوي، وتركيز المؤسسات التعليمية على المادة الدراسية لدرجة استثناء جوانب النمو الاجتماعي والوجداني والأخلاقي والنفسي لدى الطلاب، ومع غياب الأنشطة المدرسية لتشكيل جوانب النمو المختلفة للفرد في هذه المؤسسات التعليمية، كل ذلك يؤدي إلى انحرافات سلوكية، تؤدي من بين ما تؤدي إليه من مخالفات لتقاليد المجتمع وأعرافه إلى ارتكاب جريمة الاغتصاب الجنسي.

وسائل الإعلام:

لوسائل الإعلام دورها التربوي الفعال بما تملكه من مؤثرات الجاذبية التي تجعل المستقبل للرسائل الإعلامية مشدودا إليها واقعا تحت تأثيرها، وهذه الخصائص جعلت من وسائل الإعلام إحدى الوسائل التي يستعين بها المجتمع لتحقيق الضبط الاجتماعي، وغرس القيم والاتجاهات وتعديل الميول والسلوكيات لدى أفراده.

وفي ظل المتغيرات فإن المضامين الدرامية المتدفقة من دول الشمال، والتي تعتبرها دول الجنوب أداة من أدوات السيطرة الثقافية والتثقيف من الخارج، فإنها تضر بقيمها وهويتها الثقافية، فهذه المضامين الدرامية تنتج، في الأساس لأسواقها المحلية في الدول الغربية وتمثل وتعكس التقاليد والأنماط والقيم الاجتماعية والثقافية والأخلاقية لهذه المجتمعات.

وحيث إن ما تقدم يلائم المجتمع المصنع، ولا يتلاءم مع المجتمع المستورد، فسوف يؤثر ذلك في قيم وأخلاق المجتمع، بذلك تتحول وسائل الإعلام من وسائل بناء لقيم وأخلاق المجتمع إلى وسائل هدم لبنية المجتمع وقيمه وأن ما تقدمه هذه الوسائل من مشاهد العنف والجنس يسهم في انتشار الاغتصاب الجنسي في المجتمع، ولذلك وجهت العديد من الاتهامات لوسائل الإعلام الجماهيرية باعتبارها ساعدت على نشر وترويج الثقافة المبتذلة، بدلا من الثقافة الجادة فإنها تقدم مواد إعلامية تافهة وضحلة وسطحية تعتمد في الأساس على الإثارة والتشويق بدلا من العمق، الأمر الذي أصاب الحياة الثقافية بالعقم والانحطاط الثقافي.

ولا تتوقف آثار المتغيرات على وسائل الإعلام عند المتغيرات الثقافية، بل تمتد إلى المتغيرات الاقتصادية بانعكاساتها الاجتماعية، فإن وسائل الإعلام قد أصبحت في السنوات الأخيرة بصورة بالغة انعكاسا للآليات السوق أو انعكاسا للواقع الاقتصادي الاجتماعي للمجتمع وأصبح تأثيرها على تأكيد القيم المادية والاستهلاكية، حيث تشكل تدريجيا لدى الأفراد الوعي بأهمية العلاقة بين قيمة الفرد ومكانته الاجتماعية، بين مقدار ما يستهلكه أو ما يقتنيه من موضوعات مادية، كما أنها في نفس الوقت تخلق لدى الطبقات غير القادرة شعورا متزايدا بالقهر والحرمان، مما يؤصل لديهم الشعور بالنقمة على تلك التي تمكنها إمكانياتها من التمتع بتلك الموضوعات المادية، وتأخذ النقمة على تلك الفئة أشكالا كثيرة من بينها الاغتصاب الجنسي.

مما سبق يتبين أن المتغيرات الاقتصادية والتكنولوجية والثقافية وما تبعها من متغيرات اجتماعية كان لها أثرها بدرجة ما في ظهور جريمة الاغتصاب الجنسي.

التساؤل الثالث والعشرون
هل الدعارة والاغتصاب والجنس الإجباري وراء انتشار الإيدز؟

إن كل من يمارس الجنس معرض للإصابة بمرض الإيدز، ولكن النساء والفتيات غالبا ما لا يكون لديهن خيارا في متى يمارسن الجنس. وقد تبين تزايد معدل إصابة النساء في كل منطقة في العالم بفيروس نقص المناعة HIV في جنوب شرق أسيا وأوروبا الشرقية وأمريكا الوسطى والولايات المتحدة الأمريكية. وقد بدأ انتشار الإيدز في معظم أنحاء العالم عن طريق العاهرات والمثليين والمدمنين، ومن يتعرضن للاغتصاب الجنسي، وممارسة الجنس الإجباري.

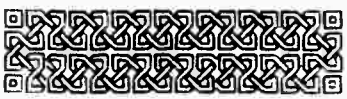

التساؤل الرابع والعشرون
من هم ضحايا الاغتصاب الجنسي؟

تبين من خلال مراجعة الحوادث في مجال الاغتصاب الجنسي أن الأطفال والنساء من أكثر الفئات المعرضة للاغتصاب الجنسي. ولا شك، أن هناك أسباب عديدة وراء هذا، وربما يكون من أهم هذه الأسباب ضعف البنيان البدني لكل من الطفل والمرأة.

أولاً: اغتصاب الأطفال:

إن الاغتصاب جريمة بشعة ولكنها أكثر بشاعة حين تحدث مع طفل، فهي انتهاك للبراءة وكسر لكل القواعد الأخلاقية، فالجاني يستغل سذاجة الطفل وينفذ من خلال ثقوب جهله لكي يشبع رغباته القذرة ويرضي نزواته الوحشية، إنه عدوان على أبسط القيم حين يكتسح بلدوزر حيواني فراشة ملونة، إنه افتراس للأمان والحب حين ينشب دراكولا أنيابه الدموية في برعم زهرة مازالت تتفتح، إن الاغتصاب الجنسي بالأطفال هو قتل مع سبق الإصرار والترصد للنبل والشفافية والطهر والصفاء وقبلها قتل للإنسانية.

واغتصاب الأطفال أو القصّر يمارسه أشخاص لا يغتصبون سوى القصّر. وقد برهنت البحوث الحديثة أن المغتصب شخص يتمتع بصفات الإنسان العادي وإن ظروفا حولته إلى شخص مغتصب. ويتحين بعض المغتصبين الفرصة لممارسة نزواتهم، وأغلب أفعال الاغتصاب تتم في ظروف تسمح للمغتصب بتمرير فعلته دون عقاب، ويكون ذلك ضمن الجيرة أو العائلة أو مكان العمل. وما يحمل الشخص على الاغتصاب هو النزوة الجامحة والفكرة المسيطرة عليه التي تدفعه لإشباع غريزته من أشخاص يكونون أضعف منه جسديا أو نفسيا، عن طريق القوة أو الإغراء أو الابتزاز.

والشخص الذي يتعرض في صغره للاغتصاب أو الضرب أو التعنيف، يكون غالبا ميالا لممارسة السادية على الغير وهو في اللاوعي يصبو لأن يتسامى مع غيره لذلك نراه يختار هذا الغير ليكون صنيعة بين يديه. وهناك عددا ممن ليس في تاريخهم أي إشارة للتعنيف الجسدي أو النفسي، ولكنهم لا يتوانون عن القيام بالأعمال المشينة إذا وجدوا ضالتهم المنشودة.

إضافة إلى هذا، فإن الاعتداء الجنسي على الأطفال ظاهرة منتشرة عالميا وتعتبر من أبشع الجرائم التي يقوم بها بعض الأشخاص المهووسين والمنحرفين جنسيا والمارقين من القواعد الدينية والتعليمات الشرعية الحنيفة وهم كالخفافيش والوطاويط التي تمتص الدماء رغبة ولذة فيستعملون شتى الوسائل للوصول إلى غاياتهم البذيئة لإرواء غريزتهم المنافية للطبيعة فيوقعوا بأطفال أبرياء تملقا وقسوة وعمدا وتهديدا، إما داخل البيت أو باستعمال الإنترنت أو السوق السوداء في بعض الدول الآسيوية أو الأمريكية الجنوبية، حيث تروج تجارة ممارسة الجنس مع الأطفال الفقراء والمشردين وحتى في بعض الدول المتطورة، حيث تلعب الخمرة والمخدرات دورا أساسياً يدفع بعض أزواج الأم أن يقيموا علاقات جنسية مع أطفال زوجاتهم عنوة.

وقد أظهرت الإحصاءات الأمريكية أن حوالي ١٢% إلى ٣٨% من البنات و٣% إلى ١٦% من الأطفال الذكور يتعرضون للاغتصاب الجنسي قبل بلوغهم ١٨ سنة من العمر في الولايات المتحدة مع تزايد هذا التحرش مع تقدم السن من حوالي ١٠% ما بين صفر إلى ٣ سنوات من العمر إلى حوالي ٢٨% ما بين ٤ و٧ سنوات وحوالي ٢٥% ما بين ٨ و١١ سنة، وحوالي ٣٦% بعد تجاوز هؤلاء الأطفال ١٢ سنة من العمر.

ورغم أن معظم الذين يقومون بتلك الفحشاء هم من الرجال إلا أن

حوالي ٣% منهم يكونون من النساء وقد حددت هوية الضحايا بناء على العوامل التالية: الجنس الأنثوي وعاهات جسدية وفكرية والطلاق مع العيش في بيت يخلو من وجود الأب أو الأم الأصليين ووجود زوج جديد للأم المطلقة.

وللاغتصاب الجنسي عواقب جسدية ونفسية وخيمة بالنسبة لهؤلاء الأطفال أبرزها الإدمان على المخدرات والاكتئاب ومحاولة الانتحار عندما يبلغون سنا متقدما. ورغم انتشار تلك الظاهرة عالميا فإن معظم الأطباء والأهل يجهلون الأعراض السريرية أو العلامات التي توحي بحدوثها حتى يستطيعوا القيام بالخطوات اللازمة من الناحية الطبية والقانونية لتشخيصها والإبلاغ عنها إلى الجهات المختصة لاتخاذ الوسائل الرادعة ومعاقبة المجرمين الذين قاموا بها وإنزال أشد العقوبات بهم.

فإنه في غاية الأهمية على الأهل وأطباء الأطفال وأخصائي المسالك البولية والتناسلية أن ينتبهوا لاحتمال حدوث الاغتصاب الجنسي ويشخصوا حصوله خصوصا بعد استقصاء حقيقة ما حصل من الطفل نفسه لاسيما في بعض تلك الحالات لا يوجد أية علامات سريرية يمكن الاتكال عليها للوصول إلى تشخيص دقيق.

فإن أي إيحاء من أي طفل أنه تعرض للتحرش أو الاعتداء الجنسي يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار إلا قلما يختلق الأطفال الروايات حول الاغتصاب، ففي دراسة أمريكية شملت ٥٥١ حالة اغتصاب تلقاها قسم الخدمات الاجتماعية في مدينة دنفر في ولاية كولورادو لم تتعد نسبة الاتهام الزائف أكثر من ١,٥% أي في ٨ حالات فقط، وكان قلق الأهل واشتباههم حول حصول الاغتصاب صائبا في معظم تلك الحالات.

ومن الأعراض والعلامات السريرية التي توحي بحصول الاغتصاب

الجنسي عند الأطفال إصابتهم بنزيف دموي أو إخراج من الشرج أو المهبل وخوفهم من الفحص السريري أو رفضه والتبول المؤلم، والسلس البولي أو الغائطي الذي لا يعود إلى أسباب عصبية ووجود سائل منوي أو حيوانات منوية في المهبل أو المستقيم أو إصابتهم بأمراض زهرية كالسيلان والمتدثرة (كلاميديا) والافرنجي (السفلس) أو فيروس نقص المناعة المكتسب التي لم تحصل نتيجة عدوى من الأم أو نتيجة حقنة عضلية أو وريدية. وبعد مراجعة عدة دراسات حول هذا الموضوع تبين أن الكثير من هؤلاء الأطفال يصابون بأعراض بولية أبرزها الألم أثناء التبول والسلس البولي الثانوي والتبول على الحيط أو أرض الحجرة.

ومن الأعراض السريرية الأخرى الالتهابات البولية المتكررة وبول الفراش والإمساك المزمن والسلس الغائطي واستعمال القسطرة لإفراغ المثانة دوريا والمعالجة النفسية، وفي اختبار على ١٢٨ طفلا تعرضوا للاغتصاب الجنسي أظهرت نتائجه أن حوالي ٢٠% من هؤلاء الأطفال مصابون بأعراض بولية وتناسلية تشمل الآلام في المهبل (٥١%)، وحصول سلس بولي أثناء النهار أو النوم (٢٨%)، وتبول مؤلم (٢٥%)، وتكرار التبول (٢٤%) بدون ظهور أي التهاب في مزرعة البول.

وقد تبين أيضاً في دراسة حديثة على بنات تعرضن للاعتداء الجنسي في الماضي أن معظمهن عانت من أعراض عاطفية ونفسية وبولية وجنسية بنسبة قد تجاوز حوالي ٧٢% مقارنة بحوالي ٢٢% للبنات التي لم تتعرض لأي اغتصاب. وتلك الأعراض البولية قد تستمر حتى بعد سن البلوغ بالرغم من المعالجة النفسية مما يشدد على ضرورة دمج ذلك العلاج مع تطبيق وسائل علاجية أخرى لتحسين تلك الأعراض.

والجدير بالذكر أن القانون الأمريكي يرغم الأطباء أن يقدموا تقريرا طبيا مفصلا للجهات المعنية في حالة اشتباههم بحالة اغتصاب جنسي لحماية الطفل من التحرش أو الاغتصاب المتكرر، ويعفى هذا القانون الأطباء من أية ملاحقة قانونية إذا ما كان اشتباههم مبنيا على معطيات طبية وتم بكل أمانة وصدق. ورغم أن معظم الأطباء الأمريكيين متطلعون حول هذا القانون إلا أن معظمهم يفتقرون إلى الخبرة لتشخيص تلك الحالات وتطبيق قواعد أساسية عند مقابلة الطفل وأهله لاستقصاء الحقيقة حول اغتصابه بطرح أسئلة محددة حول هذا الاحتمال التي قد تشمل الآتي: هل راودكم الشك أن طفلكم قد تعرض إلى التحرش أو الاغتصاب الجنسي على يد أي شخص كان يرعاه في غيابكم؟ أو هل اتهم طفلهم في أي وقت من الأوقات بلمس الأعضاء التناسلية أو جسم الطفل آخرين بطريقة غير لائقة أو باستعمال عبارات جنسية غير متحفظة في حديثه أو هل اشتكى طفلكم من الأرق أو رفض القيام بنشاطات يومية روتينية كالذهاب إلى المدرسة أو زيارة بعض الأصدقاء والأقارب؟ هل تم الاعتداء الجنسي على أي من أولادكم أو أقاربكم أو جيرانكم؟

وإذا ما ذكر الطفل اسم أو هوية المعتدي فعلى أخصائي جراحة المسالك البولية والتناسلية المعالج أن يحوله مع أهله إلى أخصائي له خبرة واسعة في تشخيص ومعالجة تلك الحالات مع تقديم شهادة حول الاغتصاب رغم مزاعم والدهم يتوجب على الأخصائي أن يستطلع من الطفل نفسه حول تجربته بطرح أسئلة محددة عليه ومحاولة استقصاء الحقيقة حول ما حصل له بوجود أهله أو حتى في غيابهم إذا ما كان الطفل متقدما في السن. ومن الأسئلة المتداولة والمعترف بها: هل تعرضت إلى أي أذى على يد شخص بالغ أو طفل آخر قصدا؟، وأما في مقابلة اليافعين أو المراهقين أو الأطفال المتقدمين في السن فيمكن طرح الأسئلة التالية عليهم: هل تعرضت شخصيا

أو لاحظت تجارب جنسية حصلت أمامك لم تذكرها سابقا؟ أو هل حاول أحدهم لمس أعضائك التناسلية في أي وقت من الأوقات؟، أو هل أرغمت على مزاولة الجنس مكرها مع أي شخص تعرفه أو تجهل هويته؟.

وعند الاشتباه أن الطفل تعرض للتحرش أو الاعتداء الجنسي فإن الفحص السريري ذو أهمية كبرى في إثبات التشخيص ويجب أن يجري بطريقة طبيعية ومقبولة من الطفل دون أي تهديد أو تقيد أو تحفظ من جانبه حتى لو استدعى الأمر إلى إجرائه تحت التخدير العام خصوصا في حال فحص المهبل أو المستقيم ويستدعى في معظم الحالات إجراؤه في غضون ٤٨ إلى ٧٢ ساعة بعد الاغتصاب للحصول على أفضل الأدلة.

ويشمل فحص الذكور العضو التناسلي والصماخ البولي والصفن والقسم الداخلي من الفخذ والشرج والمستقيم، أما عند البنات فيجب التركيز على العجان والفخذ والشفرات والبكارة والإحليل وأحياناً المهبل والثدي لكشف أية علامات تكدم أو عضة. ولفحص البكارة أهمية كبرى لتحديد تمزقها الكامل أو الجزئي خصوصا إذا ما استعمل تنظير المهبل وتصويره مع تكبير مزاياه. ولكن حتى في حال وجود تمزق في البكارة فقد يعود ذلك إلى حادث حصل للطفلة ولا يعني دائماً حدوث اغتصاب جنسي غير أن تمزقها الكامل يعني الولوج في معظم تلك الحالات. مما يشير إلى حدوث الاغتصاب خصوصا في حال غياب القسم الخلفي للبكارة، ويتمكن الخبراء التمييز ما بين الاغتصاب والحوادث التي قد أصيبت البكارة من جراء الوقوع بإجراء فحص سريري شامل والقيام بالتحاليل المخبرية لتشخيص أية أمراض زهرية أصيبت بها.

وهناك قواعد تصنيف محدد لتلك الحالات يشمل التاريخ الطبي ونتائج الفحص والتحاليل السريرية وسلوك الطفل المغتصب، وهي ست فئات: أولها

عدم حصول أي اغتصاب، وثانيها القلق المتغير حول حدوثه، وثالثها القلق الطفيف حول حدوثه، وأما الفئات الباقية فتشمل القلق المتوسط أو الشديد جداً حوله، ويساعد هذا التصنيف على إحالة هؤلاء الأطفال حسب الفئة إلى الأخصائيين لإثبات التشخيص والقيام بالخطوات الطبية والقانونية اللازمة لحماية الطفل وملاحقة المعتدي قانونيا وإنزال أشد العقوبات به إذا ما أثبتت إدانته.

وجملة، فعلى الأهل أن يتنبهوا حول احتمال تعرض فلذات كبدهم إلى التحرش والاعتداء الجنسي الذي يحصل في معظم الحالات على يد أقارب أو أصدقاء الذين يغرون الطفل أو يهددونه ويستعملونه كأداة لإشباع غرائزهم الجنسية البذيئة ويدفعونه ذكرا أو أنثى نحو براثن العذاب الجسدي والفكري والنفسي الذي طالما يستمر حتى بعد بلوغه سن الكهولة فيسبب له الاضطرابات النفسية والمشاكل الجسدية كالأعراض البولية والسلس البولي والغائطي والالتهابات البولية المتكررة والأعراض الجنسية والإدمان على المخدرات واحتمال قيامه شخصيا باغتصاب الأطفال الآخرين وأحياناً إلى الانتحار.

كما إن الاعتداء الجنسي على الطفل هو مشكلة مستترة، وذلك هو سبب الصعوبة في تقدير عدد الأشخاص الذين تعرضوا لشكل من أشكال الاعتداء الجنسي في طفولتهم، فالأطفال والكبار على حد سواء يبدون الكثير من التردد في الإفادة بتعرضهم للاعتداء الجنسي ولأسباب عديدة قد يكون أهمها السرية التقليدية النابعة من الشعور بالخزي الملازم عادة لمثل هذه التجارب الأليمة. ومن الأسباب الأخرى صلة النسب التي قد تربط المعتدي جنسيا بالضحية ومن ثم الرغبة في حمايته من الملاحقة القضائية أو الفضيحة التي قد تستتبع الإفادة بجرمه. وأخيراً فإن حقيقة كون معظم الضحايا صغارا ومعتمدين على ذويهم ماديا تلعب دورا كبيرا أيضاً في السرية التي تكتنف هذه المشكلة. ويعتقد

معظم الخبراء أن الاعتداء الجنسي هو أقل أنواع الاعتداء أو سوء المعاملة انكاشفا بسبب السرية أو "مؤامرة الصمت" التي تغلب على هذا النوع من القضايا.

ولكل هذه الأسباب وغيرها، أظهرت الدراسات دائماً أن معظم الضحايا الأطفال لا يفشون سر تعرضهم إلى الاعتداء الجنسي، وحتى عندما يفعلون، فإنهم قد يواجهون عقبات إضافية، ونفس الأسباب التي تجعل الأطفال يخفون نكبتهم هي التي تجعل معظم الأسر لا تسعى للحصول على دعم خارجي لحل هذه المشكلة، وحتى عندما تفعل فإنها قد تواجه بدورها مصاعب إضافية في الحصول على الدعم الملائم.

الآثار الأخلاقية والنفسية عند الأطفال المغتصبين جنسيا:

إنه من المفروض أن يكتسب الطفل القيم الرادعة للجنس غير الحلال من الوالدين، وأول مشكلة يعانيها الطفل الذي يتعرض للاغتصاب هو غياب الرادع الأخلاقي، لذا سيلجأ فيما بعد إلى الجنس الممنوع.

ونفسيا سيشعر الطفل بأنه معتدى عليه، وبالتالي لا يستطيع منع هذا الاعتداء لأنه نابع من سلطة أقوى منه أي الوالد مما يؤدي به إلى كره والده، هذه الازدواجية في الحب والكره ستوصله إلى المرض النفسي، إما التغرير بالطفل في عمر مبكر، يؤجج غريزة الطفل الجنسية ويعوده على لذة مبكرة، وتجعله يشعر بالذنب لأنه يقبل اللذة المحرمة أو الممنوعة، والشعور بالذنب يدخل في المرض النفسي، وقد يصبح المغتصبون فيما بعد منحرفين جنسيا (لوطيين) أو مرضى نفسيين عصابيين، وهذا ينطبق على الأولاد المغتصبين من قبل الأهل أو الأقارب أو الغريب.

وهناك فرق بين من يتعرض للاغتصاب مرة واحدة، ومن يتعرض له عدة مرات فالذي يتعرض لمرة واحدة فإنه ينسى بسرعة ولا آثار نفسية مستقبلية لديه.

أما السلوك العام للطفل المغتصب فإنه يتغير داخل الأسرة، وغالبية الأهل لا يدركون هذه الآثار السلبية لسلوكه اليومي، خصوصا أن الذين يغررون بالأطفال يستخدمون وسائل الابتزاز والهدايا والنقود، وأحياناً التهديد فيجد الطفل لذة مادية وجنسية وهذا ما يهيئه لأن يصبح منحرفا أو مريضا نفسيا.

كما تجدر الإشارة إلى أنه يوجد أمكنة كثيرة للتغرير بالأطفال كالسجون والمعتقلات حيث يتعرض الطفل للاعتداء على يد السجانين، وكذلك المدارس الداخلية حيث يعتدي المسؤولون الليليون على الأطفال، وهؤلاء المغتصبين قد يكونون منحرفين فقط جنسيا ونقطة ضعفهم الجنس.

فعلى الأسرة حماية أطفالها من إمكانية التعرض للاعتداء بالتقرب من الطفل أو الصراحة معه لأن الخوف قد يعرضه للتغرير، فيخفي الأمر عن الأهل خوفا منهم، مع ضرورة مراقبة سلوك الطفل، ويجب الحذر من علاقة الطفل مع الكبار غير الموثوقين ويبقى أن الطفل المغتصب في حاجة إلى علاج نفسي، وحتى عندما يصبح راشدا لأن الآثار السلبية لهذه العلاقات المبكرة هي مدمرة على الصعيد النفسي.

وقاية الأبناء من التعرض لجرائم الاغتصاب:

هناك سبل متعددة، يمكن من خلالها وقاية أبنائنا من التعرض للاغتصاب الجنسي. ويتم ذلك من خلال الوقاية السليمة الفاعلة التي من شأنها أن تحول دون وقوع الجريمة والانحراف وتفاديهما قبل وقوعهما، وتهدف الوقاية من الجريمة إلى مراقبة وضبط عوامل متعددة ذاتية وخارجية والظروف كذلك بما في ذلك ظروف ووسائل التعليم والإعلام ومناشط الوعظ والإرشاد الديني والتوجيه والإرشاد النفسي، ومن خصائص الوقاية الناجحة الشمول لجميع الجوانب الثقافية والحضارية والاجتماعية والاقتصادية

والصحية ذات العلاقة بها والتأثير فيها، وينبغي تحديد أهداف وسياسات واستراتيجيات الوقاية، وأن يتم التخطيط لها على أسس علمية، وأن يتم الربط بين سياستها وخططها وبين السياسة الأمنية الاجتماعية العامة وخطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية، ومن الممكن أن يسهم البيت والأسرة والمدرسة والمؤسسات الإصلاحية والنوادي وغيرها في الوقاية من جريمة الاغتصاب وكذلك جميع القائمين والعاملين في هذه المؤسسات يمكنهم لعب دور أيضاً في هذا المجال إذا ما تحلوا بالصلاح وتسلحوا بسلاح العلم والثقافة العامة والوعي الشامل والدين المتين والخلق القويم والالتزام بقضايا المجتمع والاهتمام بمشكلاته.

وهناك سبل أخرى لحماية أبنائنا من الاغتصاب الجنسي مثل ما يلي:

- الاهتمام بالطفل وعدم التغيب عنه.
- يجب أن يميز الطفل بين الغريب والقريب وبين من يعرفه ومن لا يعرفه.
- يجب أن يميز بين اللمسة البريئة والأخرى غير البريئة.
- مراقبة سلوك الطفل.
- التكلم معه والاستماع إليه.
- محاولة أخذ الأجوبة منه على مراحل وبدهاء شديد دون أن يشعر بالخوف.
- عند وجود أي علامة على الجسد يجب أن نسأله عنها.
- على الأهل أن يعرفوا حقل التحرك عند أولادهم مثل المدرسة والنادي والرحلات.
- قضايا الاعتداء على الأطفال لا تعالج بسكوت من الأهل.
- إذا ما اغتصبت الفتاة يجب ألا تحرج وليس على الضحية لمجرد أنها فتاة أن تشعر بأنها مذنبة.
- اللجوء إلى المشرفات الاجتماعيات كي يساعدن الطفلة على تخطي الاغتصاب.

- علاج الطفل نفسيا بعد الاغتصاب مهم جداً.
- يصعب على الطفل حماية نفسه إلا إذا لجأ للدولة.
- بينت بعض الإحصاءات أن ٧٠% ممن يرتكبون فعل الاغتصاب هم من خريجي السجون.
- على الدولة أن تكون سجونها علاجية وليس عقابية حتى لا يخرج المعتدي أكثر انحرافا.

ثانياً: اغتصاب النساء:

تتعرض الأنثى في كل مراحل عمرها، وفي كافة أنحاء العالم وعلى مدار التاريخ المختلف لأشكال وأنواع العنف البدني والنفسي. وبعد أن قضى الإسلام على الممارسات الجاهلية الهمجية بوأد الإناث في المهد منذ ما يزيد على الأربعة عشر قرناً – يأتي التقدم الهائل والمتعاظم في تكنولوجيا الهندسة الوراثية البشرية الذي نشهده اليوم – ليتيح للبعض من معدومي الإنسانية فرصة مواتية لأن يعيدوا إلى الوجود وأد الإناث ولكن ليس في المهد بعد ولادتهن، وإنما قبل ذلك وهن مازلن أجنة في الأرحام! فالبعض من الأزواج – والزوجات أحياناً – ممن لا يرغبون في إنجاب الإناث حين يعلمون أن الجنين أنثى عن طريق تكنولوجيا تشخيص جنس الجنين المتاحة حاليا – يلجئون إلى التخلص منه بعملية الإجهاض الإجرامية، لدرجة أن الأوساط الطبية والبحثية في بريطانيا طالبت بمنع إخطار الزوجين بجنس الجنين قبل ولادته.

وفي بعض البلدان الشرقية – ومن بينها العالم العربي – والتي تعلو فيها قيمة الطفل الذكر على الطفلة الأنثى، تتعرض المواليد الإناث للتفرقة بسبب النوع فتنال أحياناً قدرا أقل من الرعاية الأسرية والصحية والنفسية والتعليمية وغيرها. لدرجة أنه في الصين مثلاً حيث يقوم برنامجها القومي

للتخطيط الأسري على تحديد النسل في الأسرة ذات الطفل الواحد – تهمل الأسرة التي تولد لها أنثى هذه المولودة في النواحي الغذائية والصحية لتمرض وتموت ومن ثم يتاح للأسرة أن تنجب طفلا آخر لعله يكون ذكرا.

وتتعدد وتتنوع أشكال العنف ضد الأنثى مثل الضرب والحرق والاغتصاب وحتى القتل، وفي بعض أقطار عالمنا العربي تعاني الإناث من عنف إضافي ألا وهو الختان. ولنتحدث بإسهاب عن الاغتصاب كأحد مظاهر العنف ضد الأنثى وأثره على الصحة البدنية والعصبية والنفسية للأنثى!

التحرش الجنسي والاغتصاب – دمار للروح والنفس، وسوء مآب:

في تقرير للأمم المتحدة أن ٢٥% على الأقل من النساء على مستوى العالم – تعرضن لنوع من الاعتداء والتحرش الجنسي في مرحلة من مراحل عمرهن. ورغم أنه لا توجد إحصاءات دقيقة عن هذه الجريمة في العالم العربي، إلا إننا من متابعتنا للصحف ووسائل الإعلام الأخرى، نستطيع أن نرى بسهولة التصاعد المستمر والمخيف في جرائم الاغتصاب والتحرش الجنسي، ونظرا لأن ما يعلن من هذه الجرائم لا يمثل إلا أقل من ١٠% مما يحدث فعلا، فلنا أن نتصور حجم هذه الجريمة البشعة المتزايدة والغريبة على مجتمعاتنا عميقة الإيمان بالدين والمتمسكة بالأخلاق والفضيلة.

إضافة إلى هذا، فإن كلمة اغتصاب هي مصطلح قانوني وليست وصفا لحالة معينة، فلا يوجد تعريف واضح ودقيق للاغتصاب وإنما يعرف عموما بأنه حالة التحرش والتلاصق بأعضاء الجنس سواء اقترن ذلك بإيلاج القضيب في المهبل أم لا، وسواء اقترن باستخدام القوة أو التهديد بها أم لا – وذلك دون موافقة الأنثى ورضاها، وكذلك إذا كانت الضحية قاصرا تحت سن

السادسة عشرة أو كانت معاقة عقليا أو حركيا، وانطلاقا من هذا المفهوم العام المتعارف عليه عالميا، فإن اتصال الزوج جنسيا بزوجته دون رضاها وموافقتها يعتبر اغتصاب، ويشهد القضاء في البلاد الأجنبية قضايا تتهم فيها الزوجات أزواجهن باغتصابهن وتحكم لصالحهن.

إن الطفولة والمراهقة أكثر مراحل العمل تعرضنا للاغتصاب، والإدمان يقود إلى اغتصاب المحارم. ومعظم حالات الاغتصاب تحدث لفتيات صغيرات تحت ١٨ سنة الكثيرات منهن تحت سن البلوغ وفي حوالي ٨٥% من الحالات يكون المغتصب معروفا للطفلة الضحية مثل الجار أو المشرف أو المدرس أو القريب أو زوج الأم أو الخادم أو السائق .. الخ، ومع انتشار إدمان المخدرات والكحوليات والمنشطات والانحرافات السلوكية، أصبحنا نشهد جرائم اغتصاب المحارم من نساء الأسرة فنجد الابن الذي يغتصب أمه أو أخته والعم الذي يغتصب ابنة أخيه والخال الذي يغتصب ابنة أخته أو حتى الأب الذي يغتصب ابنته وغير ذلك من جرائم يشيب معها الولدان.

وينتمي المغتصبون إلى مختلف المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمغتصب في ممارسته لهذا الحدث الإجرامي البشع، لا يهتم بموافقة الضحية أو رضاها وإنما تتسلط عليه نوازع شتى وتدفعه أهداف شريرة منها ممارسة التسلط وإظهار القوة على الضحية أو إرهابها أو إذلالها وإهانتها وتحقيرها والحط من شأنها وفي ٨-٤٥% من الحالات ينهي المغتصب العملية الجنسية في الدقائق العشرة الأولى ويتبعها بالإيذاء النفسي والبدني للضحية الذي قد يتطور إلى قتل الضحية.

آثار الاغتصاب على المرأة:

أن النساء اللواتي تعرضن إلى اعتداءات جنسية قبل سن السادسة عشرة هن أكثر ميلاً إلى الانتحار من بقية النساء. وفي دراسة شملت ٢٩١٨ امرأة

تعرضن لاعتداءات جنسية في شبابهن المبكر، أن ٤,٩% منهن حاولن الانتحار، بينما تتدنى هذه النسبة إلى ١,٤% عند من لم يتعرضن لمثل هذه التجربة.

أن جريمة الاغتصاب تحفر في أعماق نفس المرأة أخاديد ألم لا يمحوها مرور الزمن، ويفسر البعض جريمة الاغتصاب بأنها نتيجة كبت جنسي، ومن ثم فهم يدعون إلى مزيد من التحلل والإباحية من أجل التخفيف من هذا الكبت المسبب للاغتصاب. وهذه دعوى باطلة؛ لأن المجتمع الغربي، الذي تتزايد فيه جرائم الاغتصاب، بلغ درجة من التحلل والإباحية لم يبلغها مجتمع آخر. كما أن المجتمعات المسلمة، رغم عدم تمسكها التام بالإسلام، تندر فيها جرائم الاغتصاب مع قلة التحلل والإباحية.

وهذا ما أكدته بعض البحوث الميدانية في هذا المجال التي أشارت إلى أن الاغتصاب استجابة لتنظيم اجتماعي معين لا حاجة بيولوجية. ومن خلال مقارنة معلومات من ١٥٦ مجتمعاً، أوضحت أن السلوك الجنسي عند الإنسان يتخذ صورا ثقافية معينة، حتى ولو كان حاجة جنسية. وإلى جانب هذا، تبين أن نصف المجتمعات التي تناولها البحث لا يوجد أثر فيها للاغتصاب، أو أنه نادر فيها؛ في حين أن النصف الآخر يتأرجح ما بين اعتبار الاغتصاب تدبيرا اجتماعيا لتهديد المرأة أو معاقبتها وبين اعتباره ظاهرة ولو أنه محدود. كما أن الاغتصاب لم يكن له أثر في ٤٧% من هذه المجتمعات، ومحدود في ٣٦% منها، وقائم فعلا في ١٧% منها.

التساؤل الخامس والعشرون
هل هناك علاقة بين الحروب والاغتصاب الجنسي؟

يُرتكب الاغتصاب في النزاعات المسلحة كوسيلة لترهيب النساء ومجتمعهن وقهرها والسيطرة عليها. ويستخدم كأحد أشكال التعذيب بهدف انتزاع المعلومات من أشخاص ومعاقبتهم وإرهابهم.

إن ازدراء "العدو" والمرأة يجد تعبيرا له في الاغتصاب وغيره من ضروب العنف الجنسي. فالدعاية تصور المرأة على أنها تجسد شرف المجتمع، ولذا فإن الاعتداء على المرأة يعتبر اعتداء على المجتمع بأسره. وتُغتصب النساء على مرأى من أفراد عائلاتهن لتعميق شعورهم بالعار. وفي إطار العنف الذي يركز على دور النساء كأمهات للجيل القادم، يتم تشويه أجسادهن وقتل أجنتهن.

إن الناجيات من الاغتصاب وغيره من ضروب العنف الجنسي غالبا ما يجهرن بما يتعرضن له. فقد يصبحن عرضة للعقوبة القاسية أو حتى للقتل بسبب تدنيس شرف العائلة. وقد يصاب بعضهن بعدوى فيروس نقص المناعة المكتسبة ويواجهن النبذ الاجتماعي. وقد يجري التلاعب بإمكانيات الحصول على الرعاية الصحية لأسباب سياسية. ومعظم الضحايا لا يحصلن على العدالة عن الجرائم التي ترتكب بحقهن.

فقد كانت "س" في بدايات فترة الصبا والمراهقة عندما قام مسلحون روانديون بأخذها إلى منزلها في إحدى قرى شرق الكونغو. وتقول عما تعرضت له: نزعوا عني ملابسي، وعندما يمسكني واحد منهم بأيديه القوية، كان يقوم آخر باغتصابي، ثم بعد ذلك يتبادلون الدور، وأضافت قائلة: قلت لهم، الآن بعد أن قمتم باغتصابي، هل بإمكاني أن أذهب؟ فقالوا لي: لا، وإذا

بقيت تلحين في طلب ذلك سوف نقتلك. أن تجربة "س" تمثل واحدة من عدد لا يحصى من أعمال العنف الجنسي المتزايد في الحرب.

أن العنف الجنسي ضد النساء والفتيات أصبح يحدث بشكل كبير في شتى بقاع العالم. إضافة إلى أن عدواه أصبحت واسعة الانتشار. إن قسوة وفظاعة ووحشية الاعتداءات الجنسية التي تسربت أخبارها من الكونغو، والعراق، وكمبوديا، والسودان، والبلقان، وسيراليون، وغيرها؛ هي قسوة ووحشية تكسر قلب كل من تتطرق أذنه لسماعها، وبصره لرؤية صورها. أن الفتيات والنساء، كبارا وصغارا، يتم اقتناصهن وافتراسهن بواسطة الجنود، والميليشيات، ورجال الشرطة، وغيرهم من المسلحين، ويزداد الأمر سوءا عندما تصبح أطراف الصراع غير قادرة على بسط حمايتها للسكان المدنيين.

إضافة إلى هذا، قامت الأمم المتحدة بدراسة الاعتداءات الجنسية في مناطق الحرب، وقد ظهرت الأرقام المفزعة التالية:

- ٩٠,٨% من نساء ليبيريا تعرضن للاغتصاب، ولم يكن المغتصبون يميزون بين الكبيرة والصغيرة.
- ٥٠% من اللاتي تعرضن للاغتصاب في الكونغو، والبوسنة، وكمبوديا تقل أعمارهن عن ١٢ عاماً.

كذلك أشار تقرير الأمم المتحدة إلى أن حالات الاغتصاب لا تكون حصرا في مناطق القتال، بل وفي معسكرات اللاجئين التي تشرف عليها الأمم المتحدة، وفي أحد المعسكرات تبين أن ٧٥% من النساء الموجودات في المعسكر تعرضن للاغتصاب خلال فترة الإقامة في المعسكر.

وكشفت التقارير أيضاً عن أن جنود بعثات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة متورطون في الكثير من جرائم الاغتصاب والعنف ضد المرأة.

وهناك العديد من الاحتجاجات التي تقدم بها السكان المحليون من مختلف البلدان ضد جنود الأمم المتحدة.

واعتبر بعض الباحثين أن الأمم المتحدة نفسها تتحمل الجزء الكبير من المسئولية، فمثلاً يمارس مسؤولو الأمم المتحدة تقصيرا كبيرا في المعسكرات وتوفير الحياة الآمنة للاجئين، وحوالي ٩٨% من النساء المقيمات في معسكرات الأمم المتحدة، واللاتي تعرضن للاغتصاب، كان ذلك بسبب خروجهن من المعسكر بحثا عن الطعام أو لجمع الحطب الضروري لإشعال النار.

كذلك يذهب بعض الباحثين الاجتماعيين إلى أن عدم اهتمام الأمم المتحدة بتوفير الحد الأدنى المطلوب من المعيشة في معسكرات اللاجئين، قد أدى إلى تحويل هذه المعسكرات إلى بؤر موبوءة بالدعارة وتجارة الممنوعات.

ولم تنحصر جرائم العنف ضد المرأة في مناطق النزاعات فقط في عمليات الاغتصاب الجنسي، بل تعدى الأمر ذلك إلى ارتكاب فظائع أكثر وحشية، ففي كمبوديا والكونغو ومنطقة البلقان كان يتم قتل الفتيات المغتصبات بعد اغتصابهن، بحيث يتم بعد ذلك تقطيع أجسادهن وأخذ الكلى، وبعض الأجزاء الأخرى، من أجل بيعها لبعض بنوك الأعضاء البشرية، وعلى سبيل المثال يتم بيع الكليتين لبعض هذه البنوك بمبلغ ٢٠ ألف دولار. وقد تبين أن هناك الكثير من العصابات المختصة بتجارة الأعضاء الإنسانية تنسق مع بارونات الحرب في هذه التجارة الرائجة الوافرة الثراء، وفي ليبيريا وحدها تم العثور على ٢٥٠ ألف جثة ناقصة الأعضاء.

وقد تطورت ظاهرة العنف الجنسي ضد المرأة، وأصبحت تأخذ طابعا عاما في بعض المناطق. وفي مناطق البوسنة والبلقان استمرت هذه الظاهرة برغم انتهاء الحرب، وظلت عمليات خطف الفتيات والاتجار بأجسادهن مستمرة على قدم وساق. كذلك ظلت عمليات خطف الأطفال – ذكورا وإناثا

– وقتلهم وسرقة بعض الأعضاء من أجسادهم وتبريدها وتجميدها، ثم تهريبها بنقلها – تماما مثل لحوم الأبقار – عن طريق بعض البرادات الخاصة إلى غرب أوروبا وأمريكا، بحيث تتولى بعض العصابات توزيعها إلى الزبائن في بنوك الأعضاء، ومشافي زراعة الأعضاء البشرية.

إن الإطار القانوني الذي يحاول خبراء الأمم المتحدة وضعه للسيطرة على جرائم الحرب هو أمر غير ممكن، وذلك لأنه ببساطة يقوم على فكرة مثالية سخيفة للغاية، وهي أن تكون الأمم المتحدة مثل حَكم المباراة الذي يراقب تحركات اللاعبين ويعاقبهم على اللعب الخشن، وهو أمر لا يمكن أن يحدث في الحرب، لأنه لا يمكن أن يتم وضع قانون يؤدي إلى وجود حرب نظيفة .لأن الحرب معناها القتل، ولا يمكن أن تسكت الأمم المتحدة عن القتل، وتمنع الاغتصاب، خاصة وأن الاغتصاب في مناطق الحروب يمثل جريمة سببها الحرب وتداعياتها السالبة على سلوك الإنسان، كذلك توجد الكثير من دول العالم التي لا تعترف بجريمة الاغتصاب، وفي إحصائية أعدتها الأمم المتحدة هناك ١٠٤ دولة من إجمالي دول العالم البالغ عددها ١٩٢ تعتبر قوانينها الاغتصاب جريمة، والـ ٨٨ دولة المتبقية، لا تعتبر الاغتصاب جريمة، بل تعامله القوانين مثل المخالفات المرورية.

وبرغم ذلك يمثل الاغتصاب جريمة وحشية، والقضاء على عنف الحروب المولد للاغتصاب والعنف ضد المرأة، يتم فقط بالقضاء على خطر الحرب، لأنه الخطر الحقيقي الذي يهدد حياة الإنسان – رجلا كان أم امرأة.

وعلى الجانب الآخر، أعلنت وزارة الدفاع الأميريكية أن الاعتداءات الجنسية التي يقوم بها جنود أمريكيون ارتفعت بمعدل ٢٤% في ٢٠٠٦م مقارنة بالسنة السابقة. وأوضحت الوزارة في تقريرها السنوي إلى الكونغرس أن ٢٩٤٧ اعتداء جنسي اشترك فيها جنود.

التساؤل السادس والعشرون
هل هناك علاقة بين ممارسة الشعوذة والاغتصاب الجنسي؟

أبانت بعض التقارير أن العالم العربي والإسلامي ينفق مليارات الدولارات في الدجل والشعوذة. وقد تبين أن أغلب المترددات على المشعوذين والدجالين هم النساء، ومن ثم فهن أكثر عرضة للاغتصاب والاعتداءات الجنسية.

ولبيان ذلك فقد اعتقلت الشرطة في بلد عربي مشعوذا اعتمد الاغتصاب الجنسي طريقة لإخراج الجان من جسد زبوناته خاصة الحسناوات والجميلات. وذكرت صحف محلية أن طلاسم المشعوذ وجلساته المتعددة لم تجد نفعا في طرد النحس الذي تشتكي منه امرأة حسناء فأعلمها ذات يوم أنها مسكونة بجان كافر رفض الخروج من جسدها وأن الحل الوحيد لطرده هو ممارسة الجنس معها. ورفضت المرأة طلب المشعوذ بشدة فأغلق عليها باب شقته وطلب منها عدم التدخل في عمله وعرقلة دوائه واغتصبها بالقوة ثم أخبرها بأن الجان رحل دون رجعة، وتمسك المشعوذ أمام الشرطة بسلامة موقفه قائلا إنه قام بواجبه المهني.

التساؤل السابع والعشرون
كيف يقع الاعتداء الجنسي على الطفل؟

إن اغتصاب الأطفال جريمة تحدث في كل العالم ولا تقتصر على شعب من الشعوب، أو لغة، أو لون، أو مستوى علمي أو اجتماعي أو اقتصادي. وغالبا ما يكون المغتصب إما بواب العمارة أو معلم المدرسة أو مسئول في المخيمات الصيفية. أما الحالة الأبشع أن يمارس المغتصب السفاح أو جنس المحرمات، أي أن يكون الأب أو الأخ أو العم أو القريب.

وهناك عادة عدة مراحل لعملية تحويل الطفل إلى ضحية جنسية:

١ - المنحى:

إن الاعتداء الجنسي على الطفل عمل مقصود مع سبق الترصد، وأول شروطه أن يختلي المعتدي بالطفل. ولتحقيق هذه الخلوة، عادة ما يغري المعتدي الطفل بدعوته إلى ممارسة نشاط معين كالمشاركة في لعبة مثلاً. ويجب الأخذ في الاعتبار أن معظم المتحرشين جنسيا بالأطفال هم أشخاص ذوو صلة بهم، وحتى في حالات التحرش الجنسي من "أجانب" أي من خارج نطاق العائلة فإن المعتدي عادة ما يسعى إلى إنشاء صلة بأم الطفل أو أحد ذويه قبل أن يعرض الاعتناء بالطفل أو مرافقته إلى مكان ظاهره برئ للغاية كساحة لعب أو منتزه عام مثلاً.

أما إذا صدرت المحاولة الأولى من بالغ قريب، كالأب أو زوج الأم أو أي قريب آخر، وصحبتها تطمينات مباشرة للطفل بأن الأمر لا بأس به ولا عيب فيه، فإنها عادة ما تقابل بالاستجابة لها، وذلك لأن الأطفال يميلون إلى الرضوخ لسلطة البالغين، خصوصا البالغين المقربين لهم. وفي مثل هذه الحالات، فإن التحذير من الحديث مع الأجانب يغدو بلا جدوى.

ولكن هذه الثقة العمياء من قبل الطفل تنحسر عند المحاولة الثانية وقد يحاول الانسحاب والتقهقر ولكن مؤامرة "السرية" والتحذيرات المرافقة لها ستكون قد عملت عملها واستقرت في نفس الطفل وسيحول المتحرش الأمر إلى لعبة "سرنا الصغير" الذي يجب أن يبقى بيننا. وتبدأ محاولات التحرش عادة بمداعبة المتحرش للطفل أو أن يطلب منه لمس أعضائه الخاصة محاولا إقناعه بأن الأمر مجرد لعبة مسلية، وإنهما سيشتريان بعض الحلوى التي يفضلها مثلاً حالما تنتهي اللعبة.

وهناك، للأسف، منحى آخر لا ينطوي على أي نوع من الرقة. فالمتحرشون الأعنف والأقسى والأبعد انحرافا يميلون لاستخدام أساليب العنف والتهديد والخشونة لإخضاع الطفل جنسيا لنزواتهم. وفي هذه الحالات، قد يحمل الطفل تهديداتهم محمل الجد لاسيما إذا كان قد شهد مظاهر عنفهم ضد أمه أو أحد أفراد الأسرة الآخرين. ورغم أن للاعتداء الجنسي، بكل أشكاله، آثارا عميقة ومريعة، إلا أن التحرش القسري يخلف صدمة عميقة في نفس الطفل بسبب عنصر الخوف والعجز.

٢- التفاعل الجنسي:

إن التحرش الجنسي بالأطفال، شأن كل سلوك إدماني آخر، له طابع تصاعدي مطرد. فهو قد يبدأ بمداعبة الطفل أو ملامسته ولكنه سرعان ما يتحول إلى ممارسات جنسية أعمق.

٣- السرية:

إن المحافظة على السر هو أمر بالغ الأهمية بالنسبة للمتحرش لتلافي العواقب من جهة ولضمان استمرار السطوة على ضحيته من جهة أخرى. فكلما ظل السر في طي الكتمان، كلما أمكنه من مواصلة سلوكه المنحرف

إزاء الضحية. ولأن المعتدي يعلم أن سلوكه مخالف للقانون فإنه يبذل كل ما في وسعه لإقناع الطفل بالعواقب الوخيمة التي ستقع إذا انكشف السر. وقد يستخدم المعتدون الأكثر عنفا تهديدات شخصية ضد الطفل أو يهددونه بإلحاق الضرر بمن يحب كشقيقه أو شقيقته أو صديقه أو حتى أمه إذا أفشى السر. ولا غرابة أن يؤثر الطفل الصمت بعد كل هذا التهديد والترويع.

ويحتفظ الطفل عادة بالسر دفينا داخله إلا حين يبلغ الحيرة والألم درجة لا يطيق احتمالها أو إذا انكشف السر اتفاقا لا عمدا. والكثير من الأطفال لا يفشون السر طيلة حياتهم أو بعد سنين طويلة جداً. بل إن التجربة، بالنسبة لبعضهم، تبلغ من الخزي والألم درجة تدفع الطفل إلى نسيانها أو دفنها لا شعوريا، ولا تنكشف المشكلة إلا بعد أعوام طويلة عندما يكبر هذا الطفل المعتدى عليه ويكتشف طبيبه النفساني مثلاً أن تلك التجارب الطفولية الأليمة هي أصل المشاكل النفسية العديدة التي يعانيها في كبره.

التساؤل الثامن والعشرون
هل تحمي الثقافة الجنسية الطفل من الاغتصاب الجنسي؟

أصبح من الضرورة بمكان إدخال مادة التربية الجنسية ضمن مناهج وزارة التربية والتعليم، وإعادة النظر في قانون العقوبات حتى يتلاءم مع طبيعة وحجم جريمة الاغتصاب ضد الأطفال، وإجراء البحوث الميدانية من أجل التعرف على واقع وطبيعة جريمة الاعتداءات الجنسية ضد الطفل، وخاصة أن معاملات جرائم الاغتصاب الجنسي ضد الطفل في تزايد مستمر.

وفيما يلي بعض الأمثلة عن الحالات الواقعية للاغتصاب والاعتداءات الجنسية ضد الأطفال:

١- قام عم البالغ من العمر ستة وعشرين عاماً باغتصاب ابنة أخيه التي لم تتجاوز الخامسة عشرات المرات.

٢- هذه فتاة صغيرة كانت لا تتجاوز الثالثة عشرة من عمرها اغتصبها زوج أمها بأسلوب مراوغ ومخادع مستغلا براءتها ليشبع غرائزه الحيوانية بكل وحشية وبشكل متواصل. وعندما بلغت من العمر عشرين عاماً وأدركت هذه الجريمة بعد أن دفعت ثمن سكوتها إرضاء لوالدتها حتى لا تكون مطلقة ومشردة ويكون مصيرها الشارع أو القتل هي ووالدتها حسب تهديده المستمر لها فكانت النتيجة إصابتها باضطراب نفسي واكتئاب إلى أن هربت من واقعها الأليم إلى دولة مجاورة بحثا عن صدر حنون.

٣- حالة أخرى، وقعت فريسة للاغتصاب أيضاً بسبب عوامل متشابكة منها الاضطهاد الوالدي وقسوة المعاملة وحالة الفقر والحاجة والحرمان وهي لفتى تعرض للتحرش الجنسي منذ أن بلغ عمره ست سنوات من قبل صاحب الدكان في الحي الذي يقطنه وأصبح

اليوم شخصية مزدوجة مليئة بالتناقضات حاولت قتل نفسها أكثر من مرة، وهو رجل شاذ يرضي نزواته بعيدا عن أسرته ومنفصل عن زوجته.

٤- من بين الحالات أيضاً ذلك الرجل الذي يعتبر رجلا بالاسم وأنثى في سلوكياته متقمصا شخصية فتاة جميلة وذلك لأنه تم الاعتداء عليه جنسيا من قبل خاله الذي كان يكبره بعدة سنوات عندما كان صغيرا وقد حاول الانتحار أكثر من مرة على الرغم من محاولات علاجه، واليوم لا يزال يدور في حلقة مفرغة تارة يبحث عن العلاج النفسي والتوجيه والإرشاد وتارة يبحث عن علاج الملذات والمتعة بأساليبه الخاصة.

٥- هناك حالات أخرى تقشعر لها الأبدان مثل حالة الطفلة الصغيرة والبريئة ذات الأحد عشر عاماً التي افترسها مرب فاضل في نظر الآخرين فأصبحت معقدة ومنطوية وباتت في مفترق الطرق بعد أن وصلت إلى سن الزاوج.

وإلى جانب هذا، تشير أحدث البحوث العالمية إلى أن الاعتداء الجنسي على الأطفال يتضمن الاغتصاب وملامسة الأطفال وإرغام طفل على ملامسة شخص آخر جنسيا ويحدث عادة مثل هذا السلوك بين شخص كبير وطفل أو بين طفل وزميله أو قرينه وتستخدم في العادة أساليب مختلفة من التهديد والتخويف والخدع لمنع الأطفال عن الكشف والإبلاغ عن الاعتداء، ومعظم الجناة الذين يعتدون على الطفل هم الآباء أو أحد أفراد العائلة والذكور، كما يكون الاعتداء أيضاً بواسطة المعلمين أو العاملين في شئون العناية بالطفل وأصدقاء العائلة والجيران.

وفي إحدى الدراسات الجارية لمنظمة الصحة العالمية على ثلاث دول

فيما يتعلق بصحة المرأة والعنف الموضوعي فإن نسبة الاعتداء الجنسي التي أقرت بها النساء المشاركات اللاتي حدث لهن قبل سن خمسة عشر عاماً أثناء المقابلة الشخصية كانت مضاعفة تقريبا وخاصة عندما استخدم الباحثون طريقة الأسئلة بعدم الكشف عن الأسماء مقارنة بالأسئلة المباشرة، ومن هنا يتأكد لنا أن الإحصائيات عن الاعتداء الجنسي أمر صعب المنال حتى على المستوى العلمي.

وتشير الدراسة السابقة إلى أن الاعتداء الجنسي على الأطفال غير شائع لدى الفتيات والأولاد الأقل شأنا في الدرجة ولكن بغض النظر عن الضحية كان معظم الجناة من الذكور ومن وذوي صلة بالضحية، وفي إحدى دراسات المراجعة بينت مجموعة منها وعددها تسع عشرة دراسة طبقت على عشرين دولة أتضح أن نسبة الاعتداء الجنسي يتراوح ما بين سبعة إلى ستة وثلاثين في المائة للبنات وثلاثة إلى تسعة وعشرين في المائة للأولاد، كما أقرت معظم الدراسات أن مرة ونصف مرة إلى ثلاث مرات كان العنف الجنسي تجاه الفتيات أكثر من الأولاد.

سيكولوجية الاغتصاب:

يمكن تحليل جريمة الاغتصاب والاعتداء الجنسي من خلال جانبين؛ ويتعلق الجانب الأول بالضحايا، والجانب الثاني بالمعتدين؛ فعدما تغيب أساليب التوجيه والإرشاد داخل الأسرة نتيجة للجهل أو للعوامل الخاصة بالتنشئة والظروف البيئية المحيطة بالأسرة؛ وخلاف ذلك من عوامل مسئولة عن تربية الطفل وحمايته فإنه يكون من السهل جداً أن يتعرض الطفل للاعتداء سواء داخل الأسرة أو خارجها. ومن ثم؛ نطرح تساؤلاً مهماً في هذا الصدد وهو **هل من الضروري تثقيف الأطفال جنسياً؟**؛ والإجابة بنعم ولعدة أسباب أهمها أن التثقيف الجنسي عامل مساعد في تنمية عاطفة سليمة وتهيئة

النمو العقلي لدى الأطفال، وإن كثيرا من المضايقات والمخاوف التي ليس لها مبرر يكون سببها الوحيد الأوهام الجنسية اللاإرادية، وعلى الأخص الإيحاء الذي يكتسبه الطفل دون أن يشعر به أو يتوقعه الآباء عن العلاقات الجنسية الموجودة بين الأبوين في سن لا تسمح له بإدراك معنى هذه العلاقات أو قيمتها.

كما إنه في هذا العصر المليء بالمتناقضات قد يتعرض كثير من الأطفال من الجنسين لاعتداءات جنسية من جانب أفراد بالغين ومن نفس الوسط الذي يعيشون فيه؛ وهذا يمكن أن يؤثر فيهم مدى الحياة فضلاً عن أن الطفل الذي يلاحظ أبويه يتمسكان بصمت عنيد في المسائل الجنسية يفقد ثقته بهما ويؤثر في علاقته بهما.

وإلى جانب هذا، يؤكد علماء النفس واختصاصيو الأمراض النفسية أن الحياة الجنسية لا تبدأ عند البلوغ ولكن عند مولد الفرد ولذلك ينبغي أن تبدأ التثقافة الجنسية عندما يبرز حب الاستطلاع عند الطفل وينبغي الإجابة عن كل أسئلته مهما كانت سنه صغيرة، إذ ليست هناك سن معينة لكن يتوقف هذا على نمو الطفل والظروف الخارجية والوسط الذي يعيش فيه، وفي أغلب الأحيان فإن الطفل الذي يربى بحرية يسال في السابعة من عمره عن منشأ الأطفال وينبغي عندئذ إفادته؛ ومن السابعة حتى الثانية عشرة تأتي فترة خمول حيث لا يهتم فيها الأطفال عموما بالمسائل الجنسية وبعدها يأتي طور ما قبل البلوغ عندما يتساءل الطفل عن الكثير من الأشياء.

ويمكن الرد على أسئلة الأطفال حول المسائل الجنسية بالكيفية التالية:

- ينبغي دائماً تجنب الإجابات التي تتميز بالخيال والخرافة على أساس أن الأطفال يعشقون ذلك فعندما يسأل الطفل عن كيفية مولده فإنه غالبا ما

يكون لديه فكرة دقيقة نوعا ما عن الرد الصحيح؛ ولتكن الإجابة واضحة هنا بأن الطفل في كيس خاص موجود في أجسام الأمهات وعند وجود الطفل في هذا الكيس فإنه يتصل بداخل الأم بواسطة حبل يؤمن له الغذاء والهواء حتى يكبر ويمكن أن يعيش بالخارج؛ ولتكن الإجابة واضحة أيضاً ودقيقة بالنسبة إلى كل أسئلته الخاصة بمجيئه إلى الدنيا ودور الوالد والفروق بين البنات والأولاد وغير ذلك.

- تلعب الأم دورا نشطا في التربية في السنوات الأولى من عمر الطفل وغالبا ما يستمر هذا الدور حتى سن البلوغ ولكن علماء النفس في نظرياتهم الحديثة يعتبرون أن دور الأب بالغ الأهمية في تربية الأطفال بما فيها التربية الجنسية فإشراك الوالدين معا ينتج عنه اتزان الطفل نفسيا.

وينبغي استخدام التعبيرات العلمية عند الإجابة على أسئلة الطفل الجنسية، ويجب تجنب الألفاظ الطفولية أو البذيئة أو غير الواضحة لأن الطفل سيعرف أن أجلاً أو عاجلاً الأسماء الصحيحة، كما يجب تجنب أن يصدم الطفل بتفصيلات تشريحية لا داعي لها؛ فالثقافة الجنسية يجب أن تكون تدريجية ولا ينبغي أن نصرح بكل شيء لطفل عمره سبع سنوات بل ينبغي أن نعرف ما يمكن أن يدركه عقله.

وإذا لم يسأل الطفل فليحاول الأب أو الأم انتهاز الفرصة لاستمرار الحوار وإعادة الثقة والفرص كثيرة كولادة طفل جديد في العائلة أو زواج قريب أو قريبة أو غير ذلك.

إضافة إلى هذا، إذا اكتشف الأبوين أو أحدهما أن الطفل يقوم بتحسس جسمه، فعندئذ ينبغي تقبل هذا وتحاشي نهره وضربه على يديه؛ لأن هذا قد

يسبب ضيقاً أو شعوراً بالذنب نحو وظيفته الجنسية، ومع ذلك فإن كانت هـذه العادة تتميز بالاستمرار عنده؛ فإنه يجب إزاحة يدي الطفل مع التحدث إليـه برفق كما ينبغي شغله بأمور أخرى ترفه عنه، وربما يكون الطفل في حاجـة أشد إلى حنان الأم أو الأب.

التساؤل التاسع والعشرون
هل يقع الاغتصاب الجنسي بين الأصدقاء؟

عندما نسمع كلمة اغتصاب، ما الذي تثيره داخلنا هذه الكلمة؟، هل نفكر في أن امرأة ما، سارت وحدها في الظلام الدامس في ليلة سوداء، وفوجئت بمن يظهر لها طالبا اغتصابها؟ إن هذا عادة ليس ما يحدث في الاغتصاب، لأن معظم حوادث الاغتصاب لا ترتكب من أغراب، وهذا ما أثبتته إحصائيات الشرطة، ولكن أغلب حوادث الاغتصاب تقع من شخص له علاقة بالضحية وخرج معها عدة مرات وقد تصل علاقتهما معا إلى حد الصداقة، نعم، قد يحدث الاغتصاب بين الأصدقاء، وهو ما نسميه: الاغتصاب بميعاد سابق.

إن الاغتصاب بميعاد سابق بصفة عامة هو اعتداء جنسي على شخص بالقوة وبدون إرادة، إنه انتهاك للثقة ولجسد الآخرين. إنه نوع من أنواع العنف. وإذا حدث فإنه يحدث مع شخص معروف للضحية غالبا، بل وحدث لقاء معه عدة مرات سابقة، أو قد يكون من الخطيب لخطيبته. إن القسوة التي تستخدم للتغلب على الفريسة، قد تأتي من التهديد أو من نغمات الصوت، أو قد تأتي من الإرغام الجسدي أو تحت تهديد السلاح.

إن أكثر من ٩٠% من حوادث الاغتصاب لا يتم الإبلاغ عنها، وفي تلك الحالات التي يتم الإبلاغ عنها فإن ٦٠% من الضحايا يعرفون الجاني معرفة شخصية. ويحدث الاغتصاب الجنسي بميعاد سابق في أكثر الفتيات في السن ما بين ١٥ إلى ٢٠ سنة. وأكثر هؤلاء المغتصبين، ينكرون أن ذلك كان اغتصابا بل كان استجابة من الضحية. وهذا الاغتصاب بميعاد سابق يحدث في أي مكان، شبه عام أو خاص، ريفي أو حضري. وعادة فإنه من الصعب منع حدوثه، وكلما تحفظت المرأة أو تحفظت الضحية على اللقاءات التي

تحدث في السر لا العلانية بين الجنسين، كلما أمكن التغلب والوقاية من مثل هذه المواقف. ويجب أن تكون المرأة دائماً في حذر من مثل هذه المواقف، والكثير من الرجال قد لا يستغلون هذه المواقف، ولكن البعض منهم.

كيف يحدث الاغتصاب بميعاد سابق؟

عادة ما يحدث الاغتصاب بميعاد سابق عندما تكون المرأة وحيدة مع رجل ما. إن هذا الاغتصاب بميعاد سابق يحدث عادة حتى لو كان يوجد أناس قريبين من المكان، عندما يكون هناك صخب أو صوت مرتفع.

إن الاغتصاب بميعاد سابق يصبح خطرا حقيقيا عندما تتناول المرأة الخمور أو العقاقير المخدرة، فالكثير من النساء اللاتي تعاطين الخمور والعقاقير المخدرة إذا غفلت أعينهن، فإنهن يستيقظن على رجل يمارس الجنس معهن، وقد يحدث الاغتصاب بميعاد سابق بدون تعاطي المرأة للمخدرات أو الخمور، ولكن إذا كانت وحيدة مع رجل تعاطي الخمور أو المخدرات، والاغتصاب في هذه الحالة واقع لا محالة.

وهناك سلوكيات خاطئة تؤدي إلى هذا الاغتصاب بموعد سابق، خاصة عندما تتجاوز المرأة حدود الصداقة العادية، فيقوم الرجل حينئذ بترجمة هذه الصداقة الزائدة بأنها دعوة إلى الجنس. إن الخطورة في هذه الحالة، تكمن في أن نفسية الرجل تعمل بالآلية التالية:

في حالة امتناع المرأة عن الجنس بشكل هادئ، يفكر في أنها تتمنع وهي الراغبة. كما أن الاعتراض الشديد في هذا الوقت يتم تجاهله، استنادا إلى مبدأ: إن المرأة عندما تقول "لا" في الجنس، فإنها تقصد "نعم". وبعض الرجال يستثارون جنسيا أكثر عندما يمارسون الجنس مع امرأة تقاتل.

أما إذا اعترضت المرأة بطريقة متوسطة فإن الرجل يدرك بأنه اقترب من إقناعها، وليس إجبارها على الجنس، وقد يحس بأنها اقتنعت حتى لو زادت بعد ذلك من مقاومتها للموقف. والحق يقال، فإن كثيرا من النساء اللاتي يقبلن اللقاء مع رجل وحدهن لديهن عدم ثبات في مواقفهن الجنسية، خاصة إذا كان المزاح سمة هذه العلاقة، فالرجل تتكون لديه صورة غير صافية عن موقفها من الجنس.

وإليكم هذه الآلية الأخرى: عندما يبدأ الرجل في مغازلة المرأة وتقبل منه هذه المغازلة، فإنه غالبا ما سيقبل على معاشرتها جنسيا، فإذا رفضت في هذه الحالة فإنه قد يحس بأنها خدعته أو يحس بأنه غير كفء لها ويشتط لذلك غضبا، خاصة إذا كانت المظاهر الصادرة أثناء المغازلة هي القبول، وعندئذ قد يحدث الاغتصاب كنوع من الانتقام.

إن للملابس والعطور دورا هاما في هذا الأمر، إذ تعمل الملابس الكاشفة والعطور الصارخة على تأكيد أفكار الرجل تجاه ضحيته، وأنها هي التي طلبت الجنس ليس باللغة المنطوقة، بل بلغة الإيماءات. وقد يتمادى الرجل ويجد حينئذ نفسه هو الضحية التي انخدعت بمظهر تلك المرأة الماكرة التي أوقعته في شباكها!

ورغم أن كثيرا من حوادث الاغتصاب بميعاد سابق تحدث عفويا، فالكثير منها أيضاً مخطط له لعدة أيام من قبل، أو في الساعات القليلة قبلها خاصة أن قبول المرأة للقاء مع الرجل وحدهما هو بالنسبة له قبول مبدئي للجنس. وهذه المواقف من القبول تجعل الرجل يخطط لهذا الموقف بكل أبعاده.

إن مثل هؤلاء الرجال الذين يخططوا لمثل هذا النوع من الاغتصاب

عادة ما يختارون ضحاياهم من النوع غير الواضح في رفضه واللاتي تقبلن مثل هذا السلوك وبسرعة. وعادة فإن هؤلاء الرجال لا يعتبرون أنفسهم مغتصبين، ولكنهم فقط يستمتعون بأوقاتهم مع امرأة قبلت الجنس بدون ضوابط بل وتسعى له.

التساؤل الثلاثون
ما دور التربية في مواجهة الاغتصاب الجنسي؟

إن مشكلة الاغتصاب الجنسي هي مشكلة تربوية في أساسها، ومهما اتخذت من تدابير أمنية وقانونية، لن تكون كافية للحد من عمليات الاغتصاب الجنسي، إنما يمكن للتربية عن طريق مؤسساتها المتعددة الحد من عمليات الاغتصاب الجنسي وذلك من خلال ما يلي:

- تعهد أفراد المجتمع بالتربية السليمة، وتعمل على غرس العادات والقيم الحسنة لديهم.
- تحسين مستوى الأداء للمؤسسات التربوية، بالبرامج الحديثة والإعداد الجيد والتدريب.
- العمل على تطوير السلوك الاجتماعي وأساليب الممارسة الحياتية.
- إذا كانت المتغيرات الوافدة ضرورة لا مفر منها، فعلى التربية التعامل معها ومواجهتها في وقت واحد، فإن فكرة التعددية الثقافية أو قبول الآخر تحتاج من التربية إلى توجيه الأفراد إلى كيفية التعامل مع هذه التعددية الثقافية، وفي الوقت ذاته كيفية حفاظ الأفراد على ثقافتهم التي تحمي هويتهم.
- إيجاد القدوة الحسنة عن طريق إعداد المعلم الإعداد الديني والخلقي، وتوجيه وإرشاد الآباء والأمهات إلى أسلوب التربية السليمة للأبناء.
- توحيد المفاهيم حول السلوكيات السلبية في ضوء العقائد والقيم والتقاليد العربية والإسلامية، حتى تصبح هناك وحدة فكرية للحكم على السلوك السلبي والسلوك الإيجابي، لأن اختلاط المفاهيم يؤدى إلى الحكم على السلوك الواحد من جانب بعض أفراد المجتمع بأنه إيجابي والبعض الآخر بأنه سلبي، مما يؤدى إلى تمييع الأمور وصعوبة التوجيه في ضوء هذا الخلط.

التساؤل الواحد والثلاثون
هل يمكن ذكر بعض حالات الاغتصاب الجنسي؟

هناك حالات متعددة من الاغتصاب الجنسي الواقع سواء على الطفل أم على المرأة في شتى المجتمعات الإنسانية، وسنورد فيما يلي بعض هذه الأمثلة:

الحالة (١): طفل (س) البالغ من العمر ثمانية سنوات، والذي قام باغتصابه أحد الشباب وقد اعترف بذنبه من خلال استدراجه للطفل إلى مكان ناءٍ بعد تناوله الخمر ومشاهدته لبعض الأفلام الجنسية راغبا في تطبيق ما رآه مع الطفل، وقد قام بطرح الطفل أرضا، وتكميم فمه، واغتصبه عنوة، ثم خنقه بشريط، وألقى به في البحر ليعود بعد ساعة وينتشل الجثة ويعاود اغتصابها.

الحالة (٢): شاب يقترب من طفلة عمرها سبع سنوات؛ وخلع عنها بنطلونها، وقام بمداعبة أعضائها التناسلية، وقبّل شفتيها. وعندما صرخت الطفلة من جراء هذا هروع الشاب هارباً.

الحالة (٣): سبعة رجال يخطفون فتاة من الشارع إلى مزرعة بعيدة، ليغتصبوها ويصورنها، وقد قالت: تناوبوا على اغتصابي، وقد ساعدني على معرفة عددهم أن أضواء السيارة كانت موجهة إلى الغرفة الخشبية التي اقتادوني إليها، ولم يكتفوا باغتصابي مرة واحدة، بل قام كل واحد منهم بذلك مرتين، وهددوني بفضحي وإيصال الصور إلى زوجي.

الحالة (٤): فتاة تبلغ من العمر خمسة وعشرين عاماً، قرأت إعلاناً في الصحف عن وظيفة في إحدى الشركات وتوجهت صباحا لتقديم طلب توظيف، وبعد إجراءها مقابلة للتوظيف تم إدخالها لغرفة

خاصة وتم اغتصابها بصورة بشعة، أخفت الفتاة ما حصل لها خشية من الفضيحة، وقامت بالسفر إلى بلد آخر لمدة عشرين عاماً قبل أن تعود إلى بلدها مرة أخرى كزائرة وناشطة لصالح المرأة المضطهدة ولكي تبوح لما حصل لها. وبالفعل قامت بتنظيم سباق درجات مع العديد من النساء ورفعن شعارات تطالب بحقوق المرأة، وكشفت لعائلتها ما حدث لها فقاموا بمقاطعتها، ووصفت مشاعرها آنذاك بالمحطمة، وأن روحها انتزعت من جسدها، ولم تستطيع أن تقيم في بلدتها فعادت إلى بلد أخرى.

الحالة (٥): مدرس في رياض الأطفال عمره ٢٧ عاماً قام باغتصاب ٢٧ طفلاً وطفلة تراوحت أعمارهم ما بين ٣-٦ سنوات، وقد اعترف بفعلته.